اليهود

في الكتب المقدسة



للعلامة الكبير فضيلة الدكتور

محمود محمد عمارة

دراسات فى الاسلام
يصدرها
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
القاهرة

اليهود
فى الكتب المقدسة

للأستاذ محمود محمد عمارة

« ٩٤ »
السنة التاسعة
١٥ من المحرم ١٣٨٩ هـ
٢ من ابريل ١٩٦٩ م

يشرف على اصدارها
محمد توفيق عويضة

بسم الله الرحمن الرحيم

« لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ
وعِيسَى بنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا
لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ » .

« قرآن كريم »

بنو إسرائيل

من عهد ابراهيم إلى عهد موسى

عليهما السلام

لما كان بنو اسرائيل ينتسبون الى يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فيحسن بنا أن نستهل هذا البحث بكلمات عن أصلهم أبي الانبياء عليه السلام :

« ان الناس قد بدأوا بالحفر فى الآثار طلبا للذهب والحلى والجواهر .. ثم عرف الناس شيئا أنفس من تلك المعادن يبحثون عنه . ويتهافتون على استخراجه وتحصيله :

وهو التاريخ المقدس . أو تاريخ المعانى العليا التى ترتفع به الى السماء . ولها مستودع فى جوف الرغام » .

وفى مقدمة هذه المعانى التى يسعى الناس لها سعيها :البحث عن تاريخ ابراهيم عليه الصلاة والسلام . هذا التاريخ الحافل بكل معانى الكفاح فى سبيل تثبيت دعائم التوحيد .

« ولا جرم أن تتجمع الجهود كلها للبحث عن تاريخه المجهول فى أغوار الارض .

فان علم الاحافير لم ينحصر فى البحث عن تاريخ أحد قط كما انحصر فى البحث عن تاريخ أبى الانبياء .

وما تجردت البعوث الى العراق وفلسطين ومصر لسؤال الارض عن مكنون من أسرارها كذلك السر المكنون الذى ينطوى على أعمق أسرار الروح والضمير » (١) .

وقد جمع الله فى قلبه عواطف الخير منذ صغره . ورغم حداثة سنه رأيناه يقف صامدا مفندا مزاعم قومه الذين يعكفون على أصنام لا تضر ولا تنفع .

وخاض معهم معركة سجلها القرآن الكريم على نحو يؤكد تفرده بلون خاص من الشجاعة الادبية قل أن يتكرر كثيرا على مدار التاريخ . مما أثار عليه جموع الكلدانيين والعراقيين .. فكان أن رحل الى أرض كنعان فارا بعقيدته فى سبيل الله .

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . اذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون .

قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين . قال : لقد كنتم أنتم وآباؤكم فى ضلال مبين .

قالوا : أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين .

قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذى فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين .

---

(١) عباس العقاد : أبو الانبياء

وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين •

فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون •

قالوا : من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين • قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم • قالوا : فأتوا به على أعين النـــاس لعلهم يشهدون •

قالوا : أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال : بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون •

فرجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون • ثم نكسوا على رءوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون •

قال : أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم . أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون •

قالوا : حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين • قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم • وأرادوا به كيدا فجعلنـــاهم الاخسرين • ونجيناه ولوطا الى الأرض التى باركنا فيها للعالمين »(١)

إن ابراهيم « فتى » يثور فى وجه قومه وعلى رأسهم أبوه • لأنهم يعفرون جباههم لاصنام لا تغنى عن الحق شيئا • وليس لهم من سند الا مجرد التقليد الأعمى لآبائهم الغابرين •

---

(١) سورة الانبياء : الآيات من ٥١ : ٧١

وتبين لنا خطورة مهمة ابراهيم الشاب اذ يقف أمام طراز من الجهال يقذفون بالحجر ولا يقدمون الحجة .. ويقف معهم والده : فاذا رمى أصابه سهمه .

ولكنه يستجمع قوته المستمدة من يقينه بالله ويدمر كل هذه الأصنام الا كبيرا لهم فيدمر فى الوقت نفسه أحلامهم .

ويحتدم النقاش بينه وبينهم فيلجأ عليه السلام الى السخرية بهم لعلها تهزهم من الاعماق فتنفتح عيونهم على حقائق الحياة بلا زيف .

« بل فعله كبيرهم هذا . فاسألوهم ان كانوا ينطقون » .

فيعودون الى نفوسهم قائلين : « انكم أنتم الظالمون » .

ولم تطل لحظة الانصاف هذه ثم يعودون بعدها الى طبيعة وضعهم المعكوس ويقررون استخدام القوة تأديبا له .

وهكذا تعجز هذه الجموع فلا تجد دليلا واحدا تواجه به ابراهيم .. فقد كان قوله فصلا . وحكمه عدلا .

ثم لا تجد أيضا ما تصد به شجاعته فى الحق الا أن تقذف به فى لهب مستعر .

ولكن الله عز وجل ينجيه من كيدهم الى أرض الشام .

هذه خلاصة موجزة لما تشير اليه الآيات من معان تتصل بأبى الأنبياء عليه السلام .

ونقرأ طرفا من هذه المعانى للمؤرخ اليهودى « يوسيفوس » اذ يقول :

كان « رجلا متيقظ الذهن فى جميع الأمور . مقنعا لمن يسمعه غير مخطىء فى فهمه واستدلاله . فأدرك من حقائق الفضائل مالم يكن يدركه سائر البشر .

واعتزم أن يصحح الأفكار التى شاعت بينهم عن الله ويغيرها فكان من ثم أول من اجترأ على المناداة بأن الله خالق الكون واحد .

وأنه اذا وجد كائن آخر ينفع الناس فانما يفعل ذلك باذنه ولا يفعله بقدرة من عنده .

وقد انتهى الى ذلك من مراقبته لما يطرأ على الأرض والماء والشمس والقمر وسائر الاجرام السماوية من عوارض التغير والتقلب . أو لاح له أن هذه الأجرام لو كانت لها مشيئة لحكمت على نفسها . فأما وهى لا تملك نفسها فكل ما تصنعه .. وكل ما ينفعنا من صنيعها فليس من عندها . بل من عند من يحكمها. وهو الجدير دون سواه بالشكر والطاعة منا .

والواقع أن هذه الأفكار هى التى أثارت عليه الكلدانيين والعراقيين ..فرأى من الخير بمشيئة الله ومعونته أن يرحل الى أرض كنعان » .

ونضيف الى ما قاله هذا المؤرخ اليهودى بعض الملامح العربية فى شخصيته عليه السلام :

فهو شجاع : لا يكاد يسمع بالاعتداء على ابن أخيه « لوط » الا ويخف لنجدته •

وهو مع ذلك كريم • شديد البأس • يحافظ على الجوار • ولا ننسى قدرته على قطع هذه المسافات البعيدة مهاجرا •• من « أور » (١) •

الى كنعان •• الى مصر •• الى الحجاز •• فيعيد الى الأذهان صورة العربى الرحالة من بلد الى آخر بحثا عن العشب والمرعى •

و « ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا •• ولكن كان حنيفا مسلما » عربيا فى خصائصه وسماته •• وهو أمر نعتز به أيما اعتزاز •• ونباهى به الذين يكذبون على التاريخ وعلى أنفسهم ليرفعوا به خسيستهم •

وفيما يتعلق بهجرة ابراهيم عليه السلام كما أشارت اليه الآيات الكريمة • نرى أن المعركة قامت بينه وبين أبيه وقومه حول معنى التوحيد الذى آمن به • وهم له منكرون •• وانتهت المعركة بفراره مع « لوط » الى الأرض المباركة وكانت مستراد التوحيد • ومنبع الكمالات الدينية والدنيوية •

وليس فى الآيات الكريمة ما يشير الى هجرة أبيه معه • ولو آمن أبوه به ثم هاجر معه لكان ذلك حدثا هاما جديرا بالتنصيص عليه تكريما له •• ولابراهيم فى نفس الوقت •

---

(١) مدينة كانت قرب الشاطيء الغربي للفرات

ولم يكن ابن أخيه لوط أقرب اليه من أبيه « تارح » حتى ينال لوط وحده شرف الهجرة ومثوبة التوحيد .

ونعود الى نصوص التوراة فنجد مصداقا لما نقول :

قال الرب لابرام « اذهب من أرضك ومن عشيرتك . ومن بيت أبيك الى الأرض التى أريك فأجعلك أمة عظيمة » (١) .

فالخطاب هنا لابراهيم وتكليف له بالهجرة من وطنه . ومن بيت أبيه كخطوة أولى نحو مستقبل عظيم يتمكن فيه من البلاغ .

وفى سفر يشوع أيضا ما يشير الى هجرته وحده دون أبيه :

« وقال يشوع لجميع الشعب : هكذا قال الرب اله اسرائيل: آباؤكم سكنوا فى عبر النهر منذ الدهر .. تارح أبو ابراهيم وعبدوا آلهة أخرى . فأخذت ابراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به فى كل أرض كنعان » (٢) .

ولقد أشارت الآيات الكريمة الى رقة قلب ابراهيم وحلمه إزاء قسوة أبيه .. هذه القسوة التى تبلغ مداها حين قال له أبوه متوعدا :

« لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا » .. فهناك بين الاثنين اذن خلاف عميق الجذور .. تأدى بوالده الى أن يأمر ابراهيم

---

(١) تكوين الاصحاح ١٢

(٢) يشوع : ٢٤

بالهجرة حيث لا أمل فى اتفاق •• وفعلا تركه ابنه البار و « قال سلام عليك سأستغفر لك ربى انه كان بى حفيا . واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربى عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا » « فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى انه هو العزيز الحكيم » •

ولكننا نقرأ فى سفر التكوين ما يشير الى هجرة أبيه معه : « فأخذ تارح ابرام ابنه ولوطا بن هاران ابن ابنه •• وساراى كنته امرأة إبرام ابنه • فخرجوا معا من « أورا للكلدانيين » ليذهبوا الى أرض كنعان » •

وربما يوضح هذا النص قليلا ماروواه بعض المؤرخين: من أن « بابل » وهى وطن ابراهيم الأصلى وقعت فريسة لقوتين متنازعتين :

قبائل « عيلام » من الشرق •

وقبائل « عمور » من الغرب •

الأمر الذى أدى الى سقوطها ودفع بالاسرة كلها الى الهجرة •

واذن فقد كان هناك عامل سياسى وراء نزوحهم جميعا •ولم يكن العامل فقط عقائديا حتى نحكم بفرار ابراهيم وحده •

الا أن ذلك لا يمنع من استقلال ابراهيم عن أبيه بحكم التوحيد الذى انفرد به مع لوط وزوجه سارة •• وسواء هاجر

وحده أو مع أبيه فهو رجل استعلى بايمانه على كل اغراء متجاهلا نداء الطبيعة التى تربطه جذريا بأبيه على حد قول الشاعر :

أبى الاســـلام لا أب لى ســـواه
اذا افتخـــروا بقيس أو تميم

ويكفيه عظمة انه قال كلمة الحق .. وأذن بها فى النـــاس وحده على حساب راحته وقراره فى وطنه وفى كنف أبيه . وهو ثمن باهظ يدفعه فى الوقت الذى يضن به كثير من الشباب على حساب مبادئهم وعقائدهم .

وعلى أى حال فقد هاجر ابراهيم من وطنه الى أرض كنعان، ولكن اقامته لم تدم طويلا أمام مجاعة شـــديدة فى هذه البـــلاد « فانحدر ابرام الى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع فى الارض كان شديدا » .

وكان يجلس على عرش مصر حينئذ فرعون « قيل كان اسمه سنان بن علوان وقيل طوليس .. فذكر جمال سارة لفـــرعون — وهو طوليس المذكور فأحضر « سارة » اليه وسأل ابراهيم عنها فقال : هذه أختى — يعنى فى الاسلام .

ووهبها هاجر جارية لها فأخذتها وجاءت الى ابراهيم .. ثم سار ابراهيم من مصر الى الشام فأقام بين الرملة وايليا . وكانت « سارة » لا تلد فوهبت ابراهيم هاجر .

ووقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسماعيل .

ثم غارت سارة من هاجر وابنها اسماعيل (١) وطلبت من ابراهيم أن يفصل بينهما فأخذها مع اسماعيل وذهب الى الحجاز .

وتمر الأيام . ويشب اسماعيل عن الطوق . ثم يعود اليه أبوه بعد غيبة طويلة ..

ويشتركون فى بناء البيت المبارك فى مكة .

وقد جاءت قصة هجرته وبنائه البيت مفصلة فى القرآن الكريم :

« ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

وأمام هذه الآية الكريمة تتضح فى أذهاننا صورة الرسول العظيم ابراهيم الذى يدعو ربه ويتجه اليه شارحا سبب اسكان ذريته هنا .. وفى هذا الوادى البلقع من كل مرتفق ومرتزق .. « ربنا ليقيموا الصلاة » . .عند البيت المحرم .

فهو لا يطلب من السماء أن تمطر ذهبا أو فضة على قوم كسالى عاجزين تحت ضغط مشاعر أبوية حانية .. ولكنه يربط طلب الرزق بالصلاة .. أى أن الرزق المرغوب وسيلة الى ارساء دعائم الحق ورفع منار التوحيد .. وليكون ذلك فى آخر المطاف طريقا الى شكر الله عز وجل على نعمة التوفيق .

---

(١) أبو الفداء ص ١٢

وتجيء قصة بناء البيت فتحكى صورة كريمة للتعاون على البر بين الوالد وابنه .

« واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود .

واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر . قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير .

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم »

واذا كان القرآن الكريم يصور قصة بناء البيت هكذا .وعلى نحو كريم يطابق الواقع ويشير الى الغاية من هذا البيت كمثابة للناس وأمن .. الا أن التوراة وهى تتعرض لحياة أبى الأنبياء تغفل ذكر بناء البيت مع خطورة هذا الأمر ودلالته .

وينتهى الاصحاح السادس عشر بنبأ ولادة اسماعيل . ويبدأ الاصحاح التالى بالبشارة باسحاق .. ثم يستمر التركيز على اسحاق وعلى يعقوب . وكيف أن العهد الالهى الابدى سيكون مع اسحاق .

أجل يكثر الكلام حول اسحق ويعقوب الذى ينتزع حق البكورية من أخيه « عيسو » ثم لا يشير السفر بكلمة واحدة

عن رحلة ابراهيم واسماعيل الى الحجاز وبنائهما البيت الى حد يغمط حق اسماعيل • ويصور المستقبل الواعد فى انتظار اسحق وذريته دون اسماعيل •

ومن صور هذا التحيز الواضح أننا نقرأ فى التوراة طلبا ملحا أن يعيش ابنه اسماعيل ليكون امتداد حياته • الا أن التوراة تفاجئنا بالبشارة باسحق •• هذا الذى سيحمل الرسالة ومن بعده ذريته الى الأبد •• حتى يكون اليهود أولى بالشرف من غيرهم •

ذات يوم « قال ابراهيم لله :

ليت اسماعيل يعيش أمامك •

فقال الله :

بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق • وأقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده » •

ولكن القرآن الكريم يصور الحقيقة بلا زيف أو تحيز •• ففيه قصة البشارة باسحق ويعقوب فى أسلوب منصف وصادق لا يطمس معالم الحقيقة •• ولا يتجاهل الواقع من أجل مصلحة فرد من الناس :

« وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب » •

« قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى

وما أوتى النبيون من ربهم لا نفــرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

ولكن اليهود وديدنهم التضليل ــ يتعمدون كتمان كل فضيلة ترفع من شأن العرب .. وطمس كل معنى من شأنه أن يثبت لهم فى التاريخ ذكرا .. ليتفردوا هم وحدهم فوق خشــبة المسرح كشعب مختار تسيل فى عــروقه دماء من لون خاص .. وانهــا لمحاولة مجرمة تلك التى تطفىء كل بريق للحق يكشف الطريق الى حقائق الاشياء كما خلقها الله عز وجل .

ويذكرنى هذا بما فعله المستشرق اليهودى « فنسك » الذى قاد حملة لتضليل الرأى العام ضد محمد صلى الله عليه وســلم وكان من مظاهر تضليله ما ادعاه من أن محمدا ظل بعيدا عن ذكر صلة العرب بابراهيم واسماعيل الى أن هاجر الى المدينة الى درجة أن الآيات المكية لم تذكر أية صلة لاسماعيل بابراهيم حتى هاجر الى المدينة فقرر أن يبين صلة العرب باليهود فنزلت الآيات تؤكد هذه الصلة ..

وجمع المستشرق كل الآيات متناسيا آية كريمة نزلت بمــكة تتحدث عن ابراهيم واسماعيل « الحمد لله الذى وهب لى عــلى الكبر اسماعيل واسحق ان ربى لسميع الدعاء » .

تناسى المستشرق هــذه الآية لأن التنصيص عليها ســيهدم الاساس الذى يحاول أن يبنى فوقه أحلامه وهو أن القرآن من عند محمد وليس من عند الله .

« يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون • هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » •

وتجاوبا مع هذه النزعة المغرضة لطمس كل فضيلة للعرب « سكتت مصادر اليهود عن حالة العرب الدينية كل السكوت » •

وترجع هذه المصادر الى القرن السابع قبل الميلاد •

وقد تعمدت هذه المصادر أن تخرج أبناء اسماعيل من حق الوعد الذى تلقاه ابراهيم من الله • وقالت ان هذا الوعد انما هو حق لأبناء ابراهيم من سلالة اسحق •

ان انتساب العرب اذن الى اسماعيل قد كان تاريخا مقررا لا سبيل الى انكاره عند كتابة المصادر اليهودية التى حصرت النعمة الموعودة فى أبناء اسحق (١) •

ولقد كان خطر المنافسة فى النسب •• وخطر المنافسة فى العقيدة كما يقول العقاد هو الذى ألجأ كهان اليهود الى حصر النعمة الموعودة فى ابناء اسحق دون أبناء ابراهيم •

وهو الذى يلجىء اليهود على المستوى الشعبى أيضا الى الاسهام فى حملة التضليل هذه •• وقد عجبت لواحد من هؤلاء اليهود — وكان يعيش فى مصر — •

كان يعلق لافتة تحمل : بسم الله الرحمن الرحيم •

---

(١) العقاد : أبو الانبياء ص ١٤٠

ولا ينسى أبدا أن يجلب الى دكانه قارئا للقــرآن كل يوم استهدافا لكثرة العملاء •• واخفاء لحقد أسود يمد أشواكه فى قلبه الموتور •

ونعود إلى التوراة وهى تحكى قصة زواج اسحق من «رفقة بنت تبوئيل» وكيف استجاب الله له — اذ كانت عاقرا —فولدت له «عيسو • ويعقوب» ثم أعطى «عيسو» أخاه يعقوب حق البكورية •

وتزوج يعقوب من «لبئة» ابنة خاله فولدت له :

رأوبين وشمعون ولاوى ويهوذا وزبولون ويساكر ويوسف — من راحيل — ودان ونفتالى وجاد وأشير اثناء اقامتــه فى حاران •

وبعد خروجه من حاران بسبب حقد خاله عليه لنمــو غنمه ولدت له بنيامين •

«وسكن يعقوب فى أرض غربة أبيه فى أرض كنعان» (١)

---

(١) تكوين : ٣٧

يوسف
بين المحنة والمنحة

كان يعقوب يُحب يوسف لأنه ابن شيخوخته . ولما كان يتوسم فيه من النجابة والخير .

وازاء هذا الحب المتزايد أحس اخوته بالغيرة منه :

فأبوهم يلبسه دونهم قميصا ملونا .

وأيضا يحلم أن حزمته « قامت وانتصبت فاحتاطت حزمكم وسجدت لحزمتى »

ويقص رؤيته على أبيه فيعلم السر . ويرى فيها ملامح المستقبل الذى ينتظره ليوسف . فيحذره أن يقص رؤياه على اخوته فرارا من عواقب الغيرة .

وذات يوم ذهب إخوته ليرعوا غنما . ورأى يعقوب يوسف وحده فقال له :

« اذهب انظر سلامة اخوتك وسلامة الغنم ورد لى خبرا »

ولما رآه اخوته من بعيد عزموا على قتله وطرحه فى البئر لينظر صاحب الأحلام . هل نفعته أحلامه .

وينقذه « رأوبين » من أيديهم • واقترح عليهم أن يلقوه فى البئر • وهو مصمم على العودة اليه ليأخذه ويرجع به الى أبيه • ووافقوا على اقتراحه وتم التنفيذ •

وجلسوا يأكلون فاقترح يهوذا أن يبيعوه الى طائفة الاسماعيليين — العرب — الذاهبة الى مصر •

وفى هذا الوقت اجتاز رجال مديانيون تجارفأصعدوا يوسف من البئر قبل اخوته • وباعوه للاسماعيليين بعشرين من الفضة •

وبكى « رأوبين » ومزق ثيابه وبكى عليه أيضا أبوه يعقوب أياما كثيرة •

« وأما المديانيون فباعوه فى مصر لفوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط » (١) •

هذه خلاصة الفصل الأول من قصة يوسف كما جاء فى التوراة •• وهو عرض لا يختلف كثيرا عما جاء فى القرآن الكريم الذى صور هذه المرحلة من حياة يوسف فقال عز وجل •

« اذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين • قال يابنى لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين •

---

(١) تكوين : ٣٨

وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم .

لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين :

اذ قالوا : ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين .

قال قائل منهم : لا تقتلوا يوسف وألقوه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين .

قالوا : يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وانا له لناصحون .

ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وانا له لحافظون .

قال انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون .

قالوا : لئن أكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون .

فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب وأوحينا اليه لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون .

وجاءوا أباهم عشاء يبكون .

قالوا : يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاءوا على

قميصه بدم كذب • قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون •

وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون •

وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين » (١) •

ويلاحظ أن التوراة تلتقى مع القرآن فتقرر أن يعقوب كان يحب يوسف حبا فاق به كل اخوته وميزه عليهم • وانه نهره حتى لا يبوح بأحلامه لاخوته فرارا من سطوتهم • الا أنها مع ذلك تذكر أن يعقوب يتطوع فيرسل يوسف من تلقاء نفسه الى اخوته فى الحقل ليرد له بعد ذلك خبرا . ويقف الانسان حائرا أمام مقدمة لا تسوق الى نتيجة صحيحة •

ولكن القرآن الكريم يجىء منطقيا مع نفسه متساوق المعانى :

فأبناؤه يقولون له : ارسله معنا غدا يرتع ويلعب « ثم يزيفون رغبتهم الحقيقية بقولهم « وانا له لناصحون » .

ولا يخفى يعقوب عنهم مخاوفه — وهو الذى أحس بهاساعة الرؤية — فيقول لهم :

---

(١) سورة يوسف : الآيات من ٤ : ٢٠

انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون » •

انه حزين لفراقه خائف عليه بناء على معرفته السابقة بحقدهم عليه •

وما أكرمه اذ يلفت نظر أبنائه الى خطر الذئب عليه •

أى أن قتله محتمل من قبل الذئب فقط •• أما منكم أيها الأبناء فأمر لا يخطر على بال •

ولكنهم لم يفهموا •• أو أنهم فهموا الا أنهم فى غمرة حسدهم عليه تجاهلوا الامر وكان حسدهم هذا أقوى من كل اعتبار •

وحدث ما توقعه أبوهم •• غير أن الأمور لم تسر على ما تشتهى نفوسهم •• فقد مكروا ومكر الله والله خير الماكرين •

ولقد صاحب التوفيق يوسف فى مصر • ورأى رئيس الشرط « فوطيفار » أنه أمام شاب أمين وحكيم فى عصر ضل الأمناء فيه وضاع الحكماء •• وفى وقت يبيع فيه الأخ أخاه بثمن بخس دراهم معدودة •

ومن ثم فقد أسند الى يوسف كل أموره صغيرها وكبيرها بحيث لم يكن يعرف « فوطيفار » من شئونه الا الخبز الذى يأكل •

وكان يوسف مع هذا رائع الصورة • جميل القسمات جليل الطلعة •

وملك على امرأة سيده قلبها وأسرت فى نفسها أمرا •

وواجه يوسف امتحانا عسيرا لأمانته وحكمته التى ساقته الى هذا المركز المرموق حين طلبت منه هذه المرأة أن يضاجعها •

فرفض بكل اباء هذه المحاولة الدنيئة ولم يشأ أن يجعل من رزق سيده أنه يكفر به •• ونجح فى الامتحان •

الا أن جماله الآسر يورط المرأة فى محاولة أخرى فأمسكت بثوبه طالبة منه أن يضاجعها فى لحظة خلا فيها البيت •• ونام كل شىء الا نباح غريزة المرأة •• وبكل بساطة يترك يوسف ثوبه فى يدها •• ويلوذ بالفرار •

عندئذ لجأت المرأة الى الكيد لما سقط فى يدها وأرادت أن تنتقم منه فصرخت فى أهلها قائلة :

« انظروا •• قد جاء الينا برجل عبرانى ليداعبنا » (١) •

واحكاما لخطتها الماكرة نراها تضع ثوبه بجانبها الى أن جاء زوجها فشكت اليه •

ويغضب السيد على يوسف •• وفى غمرة هذا الغضب تضيع كل محاولة من يوسف للدفاع عن نفسه •

واستقر به المقام فى السجن ضمن مجموعة من أسرى الملك •
ولم يكد يدخل السجن حتى قال له النجاح : خذنى معك •

---

(١) تكوين : ٣٩

فقد أتيحت له فرصة الدعوة الى الله •• أى أنه بدأ فى هذه اللحظة يحقق وجوده ويؤدى رسالته التى ولد من أجلها •

هذه نقاط تذكرها التوراة فلا تختلف عن القرآن الا فى النذر اليسير من التفصيلات •• ولكن مفـرق الطريق بين الـكتابين ما يمتاز به القرآن الكريم من الحديث عن التوحيد ••والاصنام والمقارنة بينهما بما يلزم الانسان اتباع الحق وانكار الباطل •

« ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين ، ودخل معه السجن فتيان : قال أحدهما انى أرانى أعصر خمـرا • وقال الآخر : انى أرانى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنـا بتأويله انا نراك من المحسنين •

قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى انى تركت ملة قـوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون •

واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب • ما كان لنـا أن نشرك بالله من شىء • ذلك من فضل الله علينا وعلى النـاس ولكن أكثر الناس لا يشكرون •

يا صاحبى السجن : أأرباب متفرقون خير أم الله الواحـد القهار • ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (١) •

---

(١) سورة يوسف : الآيات ٣٥ : ٤٠

ماذا نرى فى هذه الآيات الكريمة ؟

١ — يوسف شاب غريب يواجه فتنة الدنيا فى شخص امرأة .. وامرأة ذات منصب وجمال تدعوه الى الفاحشة فيستعلى بنفسه على هذا الاغراء وما وراءه من مظاهر السلطان قائلا : « رب السجن أحب الى مما يدعوننى اليه » .

٢ — وقبل هذا يتعرض لمؤامرة يدبرها « اخوته » لقتله تبوء الفشل ..

٣ — وينتهى به الامر الى السجن فيؤذن فى الناس بالتوحيد . وهو وحيد .. ويعلنها ثورة على مظاهر الشرك متسائلا فى خرية لاذعة :

« أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » .

وذلك أمر يركز عليه أولا قبل أن يفسر رؤيا زميليه فى السجن را الى انه يسير فى نفس الطريق التى سار عليها آباؤه : يم واسحاق ويعقوب طريق التوحيد والفضيلة .. وعلى ، يدعون الحفاظ على مواريث أبى الانبياء أن يتبينوا مواقع م .. وهل هم حقا يسيرون على هداه أم هى دعوى بلا ..

ابراز هذه الحقائق فى قصة يوسف عليه السلام أمر له فى حياة الرسول المكية : وكأن الله عز وجل يواسى نبيه صلى الله عليه وسلم بعرض قصة يوسف على ...

ليعلم أن ما يتعرض له انما هو جـزء من مخطط عالمى بترصـد خطوات المصلحين لصدهم عن سبيل الله •

فلا تحزن يا محمد لأن عمك يعتدى على حياتك •• فمن قبلك يوسف تعرض لأذى اخوته من أبيه •

ولا تذهب نفسك عليهم حسرات حين يدبرون لك المؤامرات بليل واستمسك بالذى أوحى اليك من ربك كما استمسك أخ لك من قبل ••

واذا تزينت لك الدنيا فى شخص وفد الكفر وقالوا لك : ان كنت تريد بما جئت به مالا •• ملكناك علينا فقل لهم :

« والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته الا أن يظهره الله أو أهلك دونه » •

فاذا كان حسادك اليوم يضاهئون الحساد من قبل •• فسر أنت فى طريق الكفاح الذى سار فيه أبوك ابراهيم •• ويوسف عليهما السلام •

وعلى هؤلاء الذين يدعون نبوة ابراهيم واسحاق ويعقوب على أرض الجزيرة العربية اليوم ويعدون العدة لملاقاتك غدا فى حرب كلامية أن يفهموا هذه الاشارة البعيدة لواحد من آبائهم هـو « يوسف » الصديق •• فيكونوا معك •• لا عليك ضد الوثنية الباغية التى لا تدين بكتاب ولا تحترم ميثاقا •

وتتابع الآيات الكريمة وهى تحكى قصة يوسف الصديق •• فنراه يخرج من السجن معززا مكرما •• طاهر الذيل مما لحق به

من تهمة مغرضة • ثم يتبوأ مكانه العلى على أرض مصر بعد أن ذاع صيته أثر نجاحه فى تعبير الرؤيا :

« وقال الملك ائتونى به أستخلصه لنفسى فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين • قال اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم •

وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض يتبوأ منها حيث يشاء • نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين • ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » (١) •

ويحدث جوع يهدد البلاد والعباد ويأمر يعقوب أبناءه أن يذهبوا الى مصر التى كانت أسعد حالا من غيرها بفضل تخطيط يوسف الإقتصادى هناك وما شرعه من ادخار يجعل المستقبل أكثر أمانا •

وذهبوا الى مصر ليشتروا طعاما :

« ولما نظر يوسف اخوته عرفهم • فتنكر لهم • وتكلم معهم بجفاء وقال لهم : من أين جئتم فقالوا :

من أرض كنعان لنشترى طعاما • وعرف يوسف اخوته أمامهم

---

(١) سورة يوسف : الايات ٥٤ : ٥٧

فلم يعرفوه • فتذكر يوسف الاحلام التى حلم بها عنهم وقال لهم : جواسيس أنتم . لتروا عورة الأرض جئتم » (١) .

« وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون . ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أنى أوف الكيل وأنا خير المنزلين » (٢) .

ويأتون بأخيهم بعد جهد شاق يبذلونه مع أبيهم •• وتنتهى القصة بالتعارف وذهاب يعقوب مع ابنائه الى يوسف عليهالسلام ليقضوا معا أجمل لحظات العمر بعد أن بعدت الشقة وقل الزاد.

ومرت الأيام ببنى اسرائيل فى مصر • وجرت الأمــور على ما يشتهون : بلدة طيبة ورب غفور : نعمة صاعــدة من الأرض وأخرى تهبط من السماء •

وفى ظل هذه النعمــة كثر بنو اسرائيــل « وتوالدوا ونسوا وكثروا كثيرا جدا وامتلأت الأرض منهم • ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف فقال لشعبه :

هو ذا بنو اسرائيل شعب أكثر وأعظم منا هلم نحتال لهم لئلا

---

(١) تكوين : ٤٢
(٢) سورة يوسف : ٥٨ : ٥٩

ينموا فيكون اذا حدثت حرب أنهم ينضمون الى أعدائنا ويحاربوننا » (١) .

وبدأت سلسلة رهيبة من الاضطهاد والتعذيب ضد الشعب الاسرائيلى لا قبل لهم بها . الى حد أن فرعون يأمر بقتل الأبناء واستحياء البنات .

غير أن هذا الاجراء لم يزد النار الا اشتعالا « ونما الشعب وكثر جدا » .

ويصور القرآن هذه الفترة العصيبة فى معرض الامتنان عليهم ليؤمنوا بمحمد كرسول من عند ربهم الذى كان معهم فى أزمنتهم تلك ونجاهم من استبداد فرعون وظلمه :

« ان فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيى نساءهم انه كان من المفسدين » (٢)

« واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب . يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » (٣) .

---

(١) خروج : ١

(٢) سورة القصص : ٣

(٣) سورة البقرة : ٤٩

« واذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب : يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم » (١) .

« ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين •• من فرعون .. انه كان عاليا من المسرفين » (٢) .

وفى كتاب « الوحدة الألهية بين الأسفار الربانية » للكاتب اليهودى « أدولف سافير » مايشير الى مدى علاقة المصريين باليهود فى هذه الحقبة من حياتهم حيث قال :

« قد سمح لهم ــ لبنى اسرائيل ــ أن يظلوا أمة مدة أربعمائة سنة فى مصر • ولكنهم باحتكاكهم مع المصريين الذين هم أكثر الأمم كلها تمدنا وأوفر الأمم غنى وأغزرهم علما قد نجحوا بسرعة فى أمور هذه الحياة •

ولكنهم طول مدة تلك القرون الأربعة لم يندمجوا مع المصريين لأنهم اذ كانوا رعاة مواش كانوا محسوبين رجسا عند المصريين •

واذ كان المصريون مخالفين من كل وجه لما علم الله به ابراهيم واسحاق ويعقوب كانوا محسوبين كذلك رجسا عند اسرائيل ••

(١) سورة الاعراف : ١٤١
(٢) سورة الدخان : ٣٠ : ٣١

حتى انه مع وجود اسرائيل فى أرض المصريين كانوا معززين من المصريين » .

واذن فهناك أزمة ثقة بين الفريقين رغم أن المصريين سمحوا لهم بالبقاء طويلا .. ولا نشك لحظة فى أن بنى اسرائيل يتحملون وزر هذه الجفوة العميقة . ونسائل التاريخ ليبين لنا ماذا كانت علاقة العرب بالمصريين ابان الفتح الاسلامى . وكيف انها وصلت الى حد من الانسجام يصبح الكل معه كتلة واحدة تظلها أخوة الاسلام .

ولا ننسى أن العرب الفاتحين كانوا مثلا حية وصادقة للاسلام .. الأمر الذى دعا المصريين الى الدخول فى دين الله أفواجا .

وفرق كبير بين الشعب الاسرائيلى الذى يعيش فى ظل وهم يزين له أن ما عداه هباء ..

وبين العربى المسلم الذى يفتح قلبه وعقله لكل انسان فى شرق الأرض أو غربها . فى ضوء محبة غامرة تجعل المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا .

وعلى أى حال فقد مرت أيام بنى اسرائيل فى عذاب مستمر . وتشتد المحنة فيشتد معها الرجاء فى منقذ ينتشلهم من وهدتهم .

وشاءت ارادة الله أن يكون موسى عليه السلام هو الرحمة المهداة لبنى اسرائيل لينقذهم من الظلمات الى النور .

ومن مفارقات القدر أن يشب موسى ويترعرع فى بيت فرعون الطاغية . ولم يكن يعلم هذا المارد أن هلاكه سيكون على يد هذا الوليد الذى رباه يتيما ولبث فى بيته من العمر سنين :

« والقدر يقول :

يا أيهذا الملك الجبار المغرور بكثرة جنـوده وسطوة بأسه واتساع سلطاته :

قد حكم العظيم الذى لا يغالب ولا يمانع ولا يخالف أقداره أن هذا المولود الذى تحذر منه . وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعـد ولا يحصى .. لا يـكون مرباه الا فى دارك .. وعلى فراشك .. ولا يغذى الا بطعامك وشرابك فى منزلك .

وأنت الذى تتبناه وتربيه .. وتتعهداه ولا تطلـع على سر معناه .

ثم يكون هلاكك فى دنياك وأخراك على يديه لمخالفتك لما جاء به من الحق المبين .. وتكذيبك ما أوحى اليه .

لتعلم أنت وسائر الخلق أن رب السموات والأرض هو الفعال لما يريد . وأنه هو القوى الشديد . ذوا البأس العظيم والحـول والقوة والمشيئة التى لا مرد لها » (١) .

(١) البداية والنهاية : لابن كثير حـ ١ ص ٢٣٨

وكم للأقدار العليا من سخريات لاذعة : وما أروع الانتصار عندما يكون للضعيف الشريف أمام القوة السافلة :

لقد ألقى ابراهيم فى النار .. فلم تحرق منه الا القيد .

والتقى داود « بجالوت » المدجج بالسلاح . فقتله بالمقلاع والحجر .

وجرت العصـــبة الكافرة تطلب رأس محمد وأبى بـــكر .. ووقفت بحشودها أمام الغار ولكنهم انهزموا ورجعوا خائبين :

بماذا

بعنكبوت .. وبيضتين .

فما أقوى الحق .. وما أضعف الباطل .

« أعباء الرسالة »

وبينما كان موسى يرعى غنم « يثرون » حمية « فساق الغنم الى وراء البرية وجاء الى جبل الله حوريب • وظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة » (١)

واذا النار تضيء والعليقة لا تحرق •

وناداه الرب « موسى • موسى : فقال هأنذا فقال لا تقترب الى هنا •• اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة » (٢) •

وبين له عز وجل جوهر رسالته ورسم له أبعاد مسئوليته فى انقاذ بنى اسرائيل من العذاب المهين فقال :

« انى قد رأيت منزلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم •• انى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين ••

.. الى أرض تفيض لبنا وعسلا .. الى مكان الكنعانيين » .

وذهب موسى الى فرعون لينقذ الشعب الأسير من المستعبد•

---

(١) خروج : ٣

(٢) خروج : ٣

وحتى ينجح عليه السلام فى رسالته يرسل معه أخاه هارون وكان أفصح منه لسانا وأشد اطمئنانا فى مواجهة الحوادث .

ومن ورائهما معجزات الله تعالى تشد من أزرهما وتفسح لهما الطريق الى النجاح .

ويصور القرآن قصته عليه السلام فيقول عز وجل فى سورة طه :

« وهل أتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى . فلما أتاها نودى يا موسى انى أنا ربك فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى . وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . اننى أنا الله لا اله الا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى . فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى » (١) .

« واذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فرعون ألا يتقون .

قال رب انى أخاف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هارون . ولهم على ذنب فأخاف أن يقتلون .

قال كلا فاذهبا بآياتنا انا معكم مستمعون فأتيا فرعون فقولا أنا رسول رب العالمين أن أرسل معنا بنى اسرائيل » (٢) .

(١) سورة طه : ٩ : ١٦
(٢) سورة الشعراء : ١٠ : ١٧

« اذهب أنت وأخوك بآياتى ولا تنيا فى ذكرى اذهبا الى فرعون انه طغى • فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى • قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا اننى معكما أسمع وأرى • فأتياه فقولا انا رسولا ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى » (١) •

وتنفرد آيات القرآن الكريم بالتركيز على قضية « الساعة » و « التوحيد » •• فبينما تصف التوراة الاله بأنه « اله بنى اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من قائلا :

« رب العالمين » .

« رب المشرق والمغرب وما بينهما » و « ربكم ورب آبائكم الأولين »

« الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » •

فهو رب كل شىء وليس رب العبرانيين وحدهم :

وصلته عز وجل بالكون والناس انما هى صلة الايمان وحده :

فهو الذى يرفع قوما بايمانهم ولو لم يكونوا يهودا •• ويخفض آخرين ولو كانوا هم شعب الله المختار •

---

(١) سورة طه : ٤٢ : ٤٧

وليست مهمة موسى انقاذ بنى اسرائيل من فرعون فقط وانما لكى يرتفعوا الى مستوى الموقف ويكونوا عند حسن الظن مؤمنين بالله الذى يدين الخلق له جميعا بالطاعة والولاء .. واذا كان الله « فضلهم على معاصريهم من البشر فبمقدار قربهم من الله ومدى تنفيذهم لمشيئته عز وجل » .

واذا كان الأمر كذلك فيما يتعلق بمسألة الألوهية .. فان هناك تناقضا ظاهرا فى بقية التشريعات اليهودية يكشف عن مدى الفارق بين الاسلام وبين ما يدينون به من عقائد :

وهذا التناقض – كما يقول الأستاذ العقاد – يظهر فى أن النبوة عند اليهود صناعة خوارق وخفايا .. وفى الاسلام رسالة هداية وتعليم واقناع .

والحساب عندهم يأخذ الأبناء بذنب الآباء .. وفى الاسلام « وأن ليس للانسان الا ما سعى » « ولا تزر وازرة وزر أخرى »

وعندهم لا عبادة مقبولة الا فى الهيكل وبواسطة الكهان والأحبار .. بينما فى الاسلام يستطيع من أراد أن يمارس العبادة فى أى مكان ودون وساطة .

وتشير الآيات الكريمة مع ذلك الى حقيقة هامة تتصل بواقعنا المعاصر :

فموسى وهارون يصدر اليهما الأمر من الله عز رجل أن يذهبا الى فرعون .. ومع انهما سيناظرانه فى مسألة جوهرية كقضية التوحيد الا أن الله تعالى يقول لهما :

فاللين هو خير وسيلة لادراك مالا يناله الانسان بالشدة • واذا كان اللين والموعظة الحسنة شرعة للذين يعرضون قضية التوحيد التى هى أساس الكون كله فكم يكون هذا اللين ضروريا ونحن نناقش غيرنا فى قضايا ثانوية تأتى فى المرتبة التالية بعد التوحيد ••

وعلى أى حال فلم يستجب فرعون لمنطق العقل •• وأغمى عينه عن الحقائق الكبيرة تأخذ بحجزه الى الطريق المستقيم •• وأخيرا صدرت الأوامر الى موسى أن يقود بنى اسرائيل فى عناية الله الى فلسطين فرارا من هذا العذاب المحدق بهم :

« وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون • فأرسل فرعون فى المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون • فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم •

كذلك وأورثناها بنى اسرائيل •

فأتبعوهم مشرقين • فلما تراء الجمعان قال أصحاب موسى انا لمدركون • قال كلا ان معى ربى سيهدين • فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم •

وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغـــرقنا الآخرين » (١)

وهكذا نجا بنو اسرائيل بقيادة موسى عليه السلام من العذاب المهين •• « من فرعون انه كان عاليا من المسرفين » •

وعبر ســـيناء . سار الجميع ثلاثة أيام .. ونال منهم العطش فتذمروا وطلبوا الماء •• وجاءهم الماء •

وخلال الرحلة الطويلة .. وكلما حل بهم ضيق تـــذمروا .. وعاودهم الحنين الى مصر بأشجارها وأطيارها •• وعذابها •

ونسو أن الله عز وجل نجاهم وأغرق ألد أعدائهم فى البحر وهم ينظرون •

ولكن •• لا بأس :

فليعاملوا الآن كأطفال صغار •• فلينزل عليهم المن والسلوى •• وليظللهم الغمام •• وبين أيديهم ماء عذب فرات••واذا كانت الأقدار تدللهم اليوم فترخى لهم من حبالها •• فان المستقبل الدامى ينظر اليهم من برجه العالى ساخرا •

والقرآن الكريم يكشف النقاب عن طبيعتهم التى لا يزيدها الجميل الا نكرانا لهذا الجميل ونسيانا للنعمة الهابطة بينما هم يتلمظون بها :

---

(١) سورة الشعراء : ٥٢ : ٦٦

« وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون •

واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين •

فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » (١) •

ثم تصور الآيات هذا الدلال المحجوج والذى أدى بهم أخيرا الى ارتكاب حماقة استبدال الأدنى بالذى هو خير :

« واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا • قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين •

واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ماسألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٢) •

---

(١) سورة البقرة : ٥٧ : ٥٩
(٢) سورة البقرة : ٦٠ : ٦١

فى الطريق الى فلسطين

وفى الطريق الى الأرض الموعودة .. أرض كنعان .. كان على بنى اسرائيل أن يواصلوا الزحف مهما كلفهم ذلك من عنت وارهاق مادام ذلك سيتوج فى النهاية بتحقيق الأمل .

ولن يصل المرء الى الغايات البعيدة الا بعد أن يدفع الثمن غاليا .. فيلقى بنفسه فوق لجج الكفاح غير هياب ولا وجل .

وربما ينسى وآله فى غمرة هذا الكفاح الدائر فتحترق أعصابه وتكثر آلامه .. ولكن ماهى تلك الآلام .

انها كما يقول الرافعى آمال تطمح اليها النفوس :

فهى ان أبقت على الحياة فيه أبقت عليها فى رجل عرفت الحياة .. من هو ..

واذا أسلمته الى الموت .. أسلمت بطلا شهيدا لا يعرف الموت .. ما هو ..

غير أن « الشعب المختار » لم يكن عند حسن الظن به :

وفى الطريق الطويل عبر أرض الميعاد تذمروا فى مظاهرة صاخبة طالبين الطعام والشراب وقالوا :

(من يطعمنا لحما • قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا • والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم ••

والآن يبست أنفسنا • ليس شيء غير أن أعيننا على هذا المن) (١) •

ويسمع موسى عليه السلام هذا النداء الذليل فتزحف ظلال من الأسى نحو قلبه الكبير •• يأسى ويأسى الكون معه أمام هذا الجحود الصارخ لنعم الله تعالى ••

من أجل هذه المعدة التى امتلأت • فأخلدت بصاحبها الى الأرض بحيث لم يعد فى عقله فكرة عن الروح •• عن هذا العالم العلوى فوق مستوى الحس الأرضى •• وليس فى كيانه فقط الا عواطف ذليلة تربطه فقط بالماء والهواء •• ورائحة الشواء •

وكيف يستطيع شعب مدلل كهذا الشعب أن يحرر أرضا أو يسترد حقا •

ان الله عز وجل يعده بالنصر •• ويطلب منه أن يقدم من نفسه وماله •• ولكنه لا يرتفع الى مستوى الحوادث فيحرر نفسه من شهواتها لينتصر فى ظل من هذا الضمان الالهى •• ان العبء ثقيل اذن •• ونفوس هذا شأنها عصية على الانقياد الا بمدد من الله عز وجل ••

---

(١) عدد : ١١

ولذلك يتوجه موسى عليه الصلاة والسلام الى الرب قائلا :

« لماذا أسأت الى عبدك • ولماذا لم أجد نعمة فى عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب على •

ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب أو لعلى ولدته حتى تقول لى أحمله فى حضنك كما يحمل المربى الرضيع •• الى الأرض التى حلفت لآبائه » (١) •

ويستجيب الله عز وجل لنداء موسى عليه السلام فيشرك معه غيره من شيوخ بنى اسرائيل فى تحمل عبء هذا الشعب المتخاذل الذى يحلم بالكرات والبطيخ •• بينما هو على أرض المعركة من أجل تحرير بلاده • وقال الله تعالى لموسى :

« اجمع الى سبعين رجلا من شيوخ اسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه • وأقبل بهم الى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك •

فأنزل أنا وأتكلم معك هناك • وآخذ من الروح الذى عليك وأضع عليهم فيحملون معك ثقل هذا الشعب » •

وفى سورة الاعراف اشارة الى هذه الحادثة :

« والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم •

---

(١) عدد : ١١

ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفى نسختهاهدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون . واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا . فلما أخذتهم الرجفة قال رب : لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا . ان هى الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين .

واكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة وفى الآخرة انا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيءفسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » .

وتنفرد الآيات الكريمة بالحديث عن موسى كرجل مؤمن يرجع الأمر لله عز وجل . فما حدث ليس الا امتحانا للنفوس يضل به قوم ويهتدى آخرون .. ويلتجىء اليه تعالى طالبا المغفرة والرحمة .. مؤملا أن يحظى بحسنة فى الدنيا .. وفى الآخرة . هذه الآخرة التى لم يرد لها ذكر فى التوراة أصلا .. ولم تحظ فيها باهتمام يساوى الاهتمام بالقثاء والثوم والبطيخ .

ونستطيع أيضا أن نرى موسى عليه السلام .. على حقيقته .. فلم يكن يائسا الى حد كبير منفعلا حاد الانفعال كما تصوره التوراة .. ولكنه ينتقل سريعا من لحظة الضيق الى رحاب الله تعالى طالبا منه العون والتأييد .. على هؤلاء المتخاذلين .

ونعود الى التوراة لنتابع فصول الرواية .. ونراقب الشعب الخائف وهو ينقل خطاه عبر الطريق الطويل فى رعاية الله وتأييده :

« كلم الرب موسى قائلا :

. ارسل رجالا ليتحسسوا أرض كنعان التى أنا معطيها لبنى اسرائيل .. رجلا واحدا لكل سبط من آبائه ترسلون » (١) .

وذهب الجواسيس .. ثم عادوا بأخبار عن قوة الاعداء أذهلت اليهود وخلخلت صفوفهم فقالوا :

« الأرض التى مررنا فيها لنتحسسها هى أرض تأكل سكانها وجميع الشعب الذى رأينا فيها أناس طوال القامة .

وقد رأينا هناك الجبابرة .. بنى عناق من الجبابرة .. فكنا فى أعيننا كالجراد .. وهكذا كنا فى أعينهم » (٢) .

ومعنى هذا أن استعداد بنى اسرائيل للقتال كان مفقودا .. وكيف يطيق غمرات الكفاح رجل يرى نفسه كالجرادة .. ويراه أيضا عدوه كذلك .

واذا كان هذا تصور الجواسيس الذين يحظون بشجاعة أكثر تدفعهم الى تلمس الاخبار فى مكامن الخطر .. فكيف تكون حال بقية الشعب المختار .

---

(١) عدد : ١٣

(٢) عدد : ١٣

ولكن « كالب » انصت الشعب لموسى وقال « اننا نصعد ونمتلكها لاننا قادرون عليها » (١) .

بيد أن هذا التشجيع لم يجد صداه « ورفعت كل الجماعة صوتها وصرخت .. وبكى الشعب تلك الليلة » (٢) .

وعاودهم الحنين مرة أخرى الى مصر .

نسوا كل شيء وتذكروا مصر بما فيها من ماء وهواء وشواء . ولم يكن عيشهم أحرارا مستقلين على أرض كتبها الله لهم ليساوى لقمة خبز وجرعة ماء ونسمة هواء .

وأيهما أفضل : أن يحنى الانسان رأسه عبدا ذليلا .. يسام الخسف ويساق بالسوط أم يبذل دمه راضيا فى سبيل غد كريم يحيا فيه حرا .

من أجل ذلك يسقط موسى وهرون على وجهيهما فى محاولة لرأب الصدع ولم الشتات .. وهيهات .

« وقال الرب لموسى : حتى متى يهيننى هذا الشعب » .

ويحس عليه السلام بالخطر .. ويرى نذر العذاب الالهى من وراء هذه الكلمات فيتجه بكل قلبه الى الله عز وجل طالبا المغفرة والصفح لبنى اسرائيل حتى لا يشمت فيهم الأعداء قائلين « الرب لم يقدر أن يدخل هذا الشعب الى الأرض التى حلف لهم » (٣) .

---

(١) عدد : ١٤
(٢) عدد : ١٤
(٣) عدد : ١٤

وجاء الجواب بالصفح والغفران ..

ولكن الحكيم العليم لا يمنح غفرانه جزافا .. انه يمنحه لمن يستحقه . وبالقدر الذى يسهم فى تربية النفوس واعدادها للمستقبل .

وكم من اناس كفروا فأمهلهم الله لعلهم يرجعون . وستر الله عيوبهم ولكنهم كشفوا للناس هذه العيوب .. ولم تزدهم نعمة الغفران الا طغيانا كبيرا ..

وفى مقدمة هؤلاء الناس بنو اسرائيل :

ومن ثم كان لابد من عقاب .. وعقاب ناجع من لون جديد .

فحيث كلت أيديهم فلم تحمل راية الكفاح فى الوقت الذى تؤيدهم فيه المعجزات من كل جانب .

وحيث كانت سنة الدعوات أن الطريق الى النصر مفروش بالأشواك مخضب بالدماء .. فعلى هؤلاء الذين عجزوا عن تحمل المسئولية أن يفسحوا المكان لغيرهم من القادرين .. على الذين جعلوا شكر رزقهم أنهم يذلون ، أن يسلموا الراية للجيل الصاعد حتى يدخل الأرض المقدسة التى كتب الله لهم .

ولعل فى هذا الجيل من امكانيات الكفاح ما يحقق النصر المأمول . حيث لم يعش حياة آبائه الذليلة ولم يستمرىء عيش الترف والنعيم . فليذهبوا الى التيه لتتعقبهم الحيرة هناك..جزاء وفاقا ..

ويستمع الشعب الى هذا الحكم الصارم بمشاعر المذنب يصغى الى حكم الاعدام .

وندم الشعب .. وبكى ..

وحاول هذه المرة ألا يذرف دموع التماسيح وفى لحظته الرهيبة بدأ يجمع قواه المبعثرة .. ويجسدها ليطلقها قذيفة فى قلوب الأعداء .

فحاولوا الصعود الى الجبل بعد أن نهاهم موسى عليه السلام .

وهل ينجحون .. لقد هزمهم الكنعانيون ودمروهم تدميرا .

ان الشجاعة لا تباع ولا تشترى .

انها استعداد يولد مع الانسان . يزكيه ارادة صلبة تستمد قوتها من ثقتها بالنفس وثقتها بوعد الله .

والذين يقرأون نفوس هؤلاء الناس من خلال أفعالهم وأقوالهم الآنفة لا يشم رائحة الشجاعة .. حتى فى الوقت الذى يؤكد الله لهم فيه النصر .. فمتى يكونون شجعانا اذن ..

لا شجاعة حيث لا ارادة .. ولا ارادة حيث يفقد الانسان ثقته بالله فلا يصدق وعده .. ويفقد ثقته بنفسه فيراها كجرادة حائرة فى فضاء واسع يلاحقها صفير الرياح .

ولكن .. يمكن لهؤلاء الناس أن يحملوا السلاح ويخوضوا المعارك .. بشرط واحد أن يكونوا تابعين فى الصفوف الخلفية . وغيرهم على أرض المعركة يصنع لهم النصر بينما هم يحرسون

له « الملابس » .. فى الجبهة الداخلية .. ثم ينقضـون أخيرا لينسبوا النصر اليهم زورا وبهتانا .

ويظهر هذا المعنى جليا بين معانى الآيات الكريمة الآتيةوالتى جاءت فى القرآن الكريم تحكى هذا الموقف الآنف على نحو لم يسبق له مثيل « واذ قال موسى لقومه : يا قوم : اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلـكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين .

يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبـوا خاسرين . قالوا ياموسى ان فيها قـوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون .

قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبـون وعلى الله فتـوكلوا ان كنتم مؤمنين .

قالوا يا موسى : انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها . فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون .

قال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين » (١) .

---

(١) سورة المائدة : ٢٠ : ٢٦

انه يذكرهم بالنعم أولا :

جعل فيكم أنبياء على نحو لم يكن لأمة من قبلكم •

وجعلكم أحرارا مستقلين بعد أن كنتم فى يد القبط عبيدا مستغلين •

وأتاكم من فضله ما لم يؤت أحدا من معاصريكم •

وكان ينبغى أن يفتح هذا التذكير عيونهم على الواقع بمسئولياته الكبار فيكونوا عند حسن الظن بهم جنودا مخلصين لتحقيق ما وعدهم الله به فيبذلوا النفس والنفيس فى الطريق الى الأرض المقدسة التى كتب الله لهم •

وقليل من الذكاء والايمان ربما كان يدفعهم الى خوض معركة كهذه مضمونة النتائج •

الا انهم نكصوا على أعقابهم معلقين دخولهم الأرض بخروج الجبابرة منها •

ومع أن النصيحة أسديت اليهم ممن يقدرون العواقب منهم الا أنهم لا يتورعون عن الاستهزاء بالله ورسله قائلين : اذهب انت وربك فقاتلا » •

ولقد كان للناس عجبا أن يشترطوا لدخولها شرطا غريبا :

« لن ندخلها حتى يخرجوا منها • فان يخرجوا منها فانا داخلون » •

« لن ندخلها أبدا ماداموا فيها » •

هنا تتكشف طبيعة بنى اسرائيل وقدرتهم على خوض المعارك •

انهم لا يفعلون — كما قلنا — الا فى ظل من حماية الغير•• ويأتى بعد ذلك بساط الريح ليحملهم الى الفردوس الموعود •

وهذا جائز فى منطق اليهود المعكوس •• اليهود الذين بكوا طالبين العودة الى حياة الذل بينما رمال البحر الرطبة لم تزل فوق أرجلهم وآثار السياط تنبح فى ظهورهم وجنوبهم •

ولم يكن من قبيل المصادفة أن يعلقوا دخولهم على هذا الشرط •• وهذا هو الواقع الماثل يبرز هذا المعنى مجسدا وعلى الطبيعة :

فاليهود الذين يحتلون اليوم فلسطين •• كيف دخلوها •

هل دخلوها فاتحين •• ؟ لا •

ان الانتداب البريطانى لا بأس أن يمهد الطريق •• فيتحسس الألغام ويكشف المجاهيل •• لا بأس أن يدب بأقدامه البغيضة أولا •• وبأصابعه الغليظة يكبت كل نفس تتطلع الى الحرية •• ويسرق كل قرش يسهم فى بناء الوطن •• وعلى حين غفلة منا نرى الاستعمار يمد رواقه •• وتحت ستار من الدخان اسمه الانتداب البريطانى مارست « الهاجاناة » الاسرائيلية عملها • وسرت فى الأرض المقدسة فى حراسته كالسم البطىء •

ولولا بريطانيا ومن ورائها أمريكا لما كان لليهود على أرضنا وجود •

والتاريخ شاهد صدق على ما نقول :

فكما قال أجدادهم لموسى وأخيه : لن ندخلها حتى يخرجوا منها « قال اليهود من أحفادهم على لسان « وايزمان » .

« اننا اتفقنا مع الحكومة البريطانية على تسليم فلسطين لليهود خالية من سكانها العرب » .

وفي هذه اللحظة التى أكتب فيها تلك السطور أسمع حديث « انتصار اسرائيل » فى بعض جولاتها ويهتز الاثير بخمرة هذا الانتصار الذى يدل به اليوم أحفاد صهيون ناسين أو متناسين أنهم لم يصنعوا أبدا هذا النصر .. ولكنهم كانوا صنائعه .

وبين يدى الان احصاء نشرته جريدة المساء يسجل دور أمريكا وبريطانيا مرة أخرى فى خلق دولة اسرائيل .. ولنؤكد للذين يعيشون الحقيقة صدق ما نقول :

١ — « برز تأييد أمريكا لليهود بعد موافقتها على مشروع تقسيم فلسطين وتشكيل دولة يهودية فيها .وقد احتضنت أمريكا مشروع التقسيم الذى أشارت به اللجنة الموفدة الى فلسطين فى مايو ١٩٤٧ من قبل الجمعية العمومية للامم المتحدة . وقامت بالدفاع عنه فى خريف ذلك العام . حتى حملتها بالتعاون مع بريطانيا على اصدار قرارها الظالم بتقسيم فلسطين فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .

٢ — خلال مناقشة الجمعية العمومية فى الأمم المتحدةلمشروع التقسيم اقترحت بعض الوفـود — ومنها الوفـد الأمريكى — تقسيم أراضى النقب بين العرب واليهود واعطاء العقبة للعرب .

فذهب « وايزمان » وقابل الرئيس ترومان فى ١٩ نوفمبر ١٩٤٧ وباحثه فى أمر فلسطين وطلب منه أن تكون العقبة من نصيب اليهود .. وأصدر ترومان أمره بأن تكون النقب والعقبة معا لاسرائيل .

٣ — لما نشب القتال فى فلسـطين على أثر صـدور قـرار التقسيم . هب الأمريكيون الى مساعدة اليهود بكل الوسائل :

جمعوا لهم الأموال الطائلة .. وسـخروا الصحف ومحطات الاذاعة للدعاية لهم . وتطوع عـدد من الامريكيين فى القـوات اليهودية . ونقلت الطائرات الأمريكية من الولايات المتحدةكميات من المعدات والأسلحة الى يهود فلسطين عن طريق « براغ »

وأنزلت باخرة امريكية اسمها « السهم الطائر » فى مينـاء حيفا فى مارس ١٩٤٧

أربعا وخمسين دبابة تحت ستار أنها جرارات زراعية »

وما أشبه الليلة بالبارحة .. وصدق الله العظيم الذى خـلق الانسان ويعلم ما توسوس به نفسه « ألا يعلم من خلق وهـو اللطيف الخبير »

افتراء على الله

كان داود عليه السلام فتى صغيرا عندما دارت رحى معركة طاحنة بين بنى اسرائيل والفلسطينيين وكان بحكم عمره الصغير بعيدا عن المعركة وتبعاتها .

ولكنه ترك متاعه يوما وركض الى أرض المعركة ليتحمل مسئولية الدفاع عن وطنه ..

وعلى أرض الجبهة سأل عن سلامة قومه ووقف على أخبارهم ..

وبينما هو يكلمهم اذا برجل مبارز هو « جالوت» الفلسطينى صاعد من صفوف الفلسطينيين وتحدى اسرائيل أربعين يوما وملأهم خوفا ورعبا .

غير أن داود رفض منه هذا التحدى على صغر سنه وتمكن داود من جالوت فقتله بالمقلاع والحجر بقوة ايمانه بالله . وانقلب ميزان المعركة بعد أن هزم الفتى الصغير قائدهم الكبير على نحو ما قرر القرآن الكريم .

« ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء » .

واذا كان من المعروف لدى الأمم أن تكرم أبطالها الظافرين كفاء ما قدموا لدينهم ووطنهم من تضحيات •• فقد كان حريا ببنى اسرائيل أن تكرم داود كرمز يكسب لها النصر فى وقت ضاعت الآمال فى هذا النصر بيد أنها لم تفعل شيئا من ذلك •

وعلى رغم أنه أصبح ملكا عليهم ونبيا من الصالحين الا أنهم يكرمونه على طريقتهم الخاصة فيلصقون به من التهم ما يليق به كنبى يتنزل عليه وحى الله •

واذ يقررون اتهامه يختارون من التهم أخطرها فيرمونه فى أعز ما يملك •• فى عرضه ••

أجل : لقد لفقوا قصة من نسج خيالهم وأهدوها للقائدالظافر كفاء ما قدم لهم من ذاته •• وجزاء له أن كان شجاعا وهم جبناء •• كريما بنفسه وهم بخلاء •

انهم يحقدون حتى على رجل من بينهم تسول له نفسه أن يغادر مستواهم الجبان ليحلق فوق البركة الآسنة التى يغالبون أمواجها •

ولكن : مهلا :

هل يضر البحر أمسى زاخرا
ان رمى فيه غلام بحجر ؟

وتتابع قصة الاتهام كما روتها التوراة :

أرسل داود يوآب وعبيده معه وجميع اسرائيل فأخربوا بنى عمون « وأما داود فأقام فى أورشليم • وكان فى وقت المساء

أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت جميلة المنظر جدا •

فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد :

أليست هذه « بتشبع » بنت « أليعام » امرأة « أوريا الحثى » فارسل داود رسلا فأخذها فدخلت عليه فاضطجع معها وهى مطهرة من طمثها • ثم رجعت الى بيتها •

وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت انى حبلى فأرسل داود الى يوآب يقول ارسل الى أوريا الحثى « صموئيل » •

وتقول التوراة ان داود احتال للامر فاستدعى « أوريا الحثى » من جبهة القتال حتى اذا ظهر الحمل عند زوجه « بتشبع » ظن الناس أنه من زوجها الذى عاد اليها واضطجع معها وليس من انسان آخر •

ولما رفض الرجل أن يدخل على زوجه بينما اخوة له يحاربون الأعداء أرسل داود « مكتوبا الى يوآب » مع أوريا العائد الى جبهة القتال يطلب فيه من قائد جيشه أن يجعل أوريا فى وجه الخطر ويرجعوا عنه ليبقى وحده وجها لوجه مع الاعداء فيضرب ويموت ••

ويرسل الرب الى داود « ناثان » ليقف به على حقيقة ماحدث منه ثم يبلغه حكم الله فيه :

« والآن لا يفارق السيف بيتك الى الأبد لأنك احتقرتنى وأخذت امرأة أوريا الحثى لتكون لك امرأة .

هكذا قال الرب : هأنذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك فى عين هذه الشمس » (١) .

وتنتهى القصة الى هذا الحد المؤسف ويحكم على داود بانه : قاتل وخائن ..

وكأنما أراد الاسرائيليون أن يبرروا ما حل بهم من نكبات مستمرة عبر الزمان المتطاول فألصقوا هذه التهمة النكراء بنبى من أنبياء الله .. فى محاولة لتبرئة أنفسهم وارجاع كل ما يحل بهم الى أمر خارج عنهم .. لأنهم « الشعب المختار » .. والشعب المختار فوق الشبهات .

هل ينسجم هذا الاتهام مع ماهو معروف عن داود من خلق كريم منذ حداثة سنه :

انه القائل كما جاء فى التوراة :

« الرب صخرتى وحصنى ومنقذى . اله صخرتى به أحتمى » .

---

(١) صموئيل ٢ : ١١

« لأنه من هو اله غير الرب ، ومن هو صخرة غير الهنا .. الاله الذى يعززنى بالقوة ويصير طريقى كاملا » .

« يكافئنى الرب حسب برى .. حسب طهارة يدى يرد على » .

وهذه شهادة يسجلها السفر الذى لا يشك فيه واحد من اليهود .. فكيف مع هذا يتهم بالزنا . وهل من البر أن يخون الانسان العادى وطنه فى وقت تدق فيه الحرب طبولها .. فكيف بنبى كداود عليه السلام .

انه التناقض اذن . وهو لحن يميز اليهود عن سائر البشر .

ولا بأس على الذين يقتلون الأنبياء بغير حق أن يدمروا اسمعة من لم يقتلوه أيضا بغير حق .

وكم من حوادث رهيبة تسجلها التوراة من هذا النوع دون تعقيب عليها .. مع أن أحداثها تدور فى بيت الأنبياء .

ويقف القرآن الكريم من داود موقف التقدير السليم للحادث بما يحفظ كرامة النبى . وهو يذكر المسألة فلا يعدو الأمر أن يكون مجرد حكم أصدره فى قضية ما فحكم قبل أن يرى وجهة نظر الخصم .. وهو أمر لابد منه ليكون الحكم عادلا .. ومن هنا كان العتاب .. والعتاب وان كان مرا لكنه من باب حسنات الابرار سيئات المقربين .. والثوب الابيض تظهر فيه النكتة

السوداء .. والناس لأنهم على دين أنبيائهم وملوكهم فلابد أن يـكون الأنبياء والملوك نماذج لا يرقى اليها شك فى أقـوالهم وأفعالهم .

يقول الله عز وجل :

« وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا عـلى داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا عـلى بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط :

ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب .

قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب .

فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب . يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عـذاب شديد بما نسوا يوم الحساب » (١)

واذا كانت التوراة تركز على نقاط الضعف فى القصة فتبرزها فضلا عن اضافتها عناصر لها تنفر منها عصمة النبوة . فان القرآن

---

(١) سورة ص : ٢١ : ٢٦

الكريم كتاب عزيز يربى الناس على الفضيلة ويتسامى بهم الى آفاقها حتى فى لحظات سقوطهم فى حمأة الرذيلة .

فهو يمر سريعا فوق نقط الضعف ليسلط مزيدا من الضوء على لحظات التسامى والتخلص من الذنب مشيرا الى أسباب الوقوع فى الخطأ ليتفاداها المرء فلا يتكرر وقوع الذنب مستقبلا

فالله تعالى يقول بعد أن رمز الى ما حدث من داود :

« فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب »

« فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

« ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » . ومن ناحية أخرى ..

فالذى يتأمل قليلا فى هذه الآية الكريمة كلها يحس أن الله عز وجل يخاطب داود « كحاكم » وتظهر شخصيته بهذا الوصف فى :

« نبأ الخصم » فاحكم بين الناس بالحق « فاحكم بيننا بالحق » . « انا جعلناك خليفة » .

مما يؤيد أن الأمر لا يعدو أن يكون تسرعا فى الحكم قبل استكمال الحيثيات ولا ينبغى لنبى أن يفعل هذا .

وكيف يفهم عاقل صدق التوراة فيما تدعيه وقد زكاه الله تعالى بقوله :

بل قد زكاه تعالى أيضا
مما يجعل صحة [illegible] [illegible]

« ولقد آتينا داود منا فضلا » ثم هو قدوة يطلب من محمد عليه السلام أن يذكر جهاده ويتأسى به « اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب » « وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » .

« وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » .

وليس بعد ذلك شك فى عصمة داود وبراءته مما اتهمه به اليهود :

وليس يصح فى الاذهان شيء
اذا احتاج النهار الى دليل

ولا يحتاج داود عليه السلام منا الى دفاع بعد أن زكاه الحق تبارك وتعالى . ولكن الأمر يحتاج منا الى مزيد من الفهم لطبيعة هؤلاء القوم من اليهود الكاذبين حتى لا يقع فى حبالهم بعض قصار النظر من الذين يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا .

وقد ذكر « ابن جزى الكلبى » فى تفسيره تلخيصا لطبيعة هؤلاء الناس فقال :

« أنعم الله على بنى اسرائيل بعشر نعم .. فقابلوها بعشر سيئات .. فعوقبوا بعشر عقوبات :

أما النعم فهى :
واذ نجيناكم من آل فرعون .
واذ فرقنا بكم البحر .

بعثناكم من بعد موتكم •

ظللنا عليكم الغمام •

عفونا عنكم •

نغفر لكم خطاياكم •

وأنزلنا عليكم المن والسلوى •

لعلكم تهتدون •

فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا •

أما السيئات فهى :

سمعنا وعصينا

اتخذتم العجل •

أرنا الله جهرة •

بدل الذين ظلموا •

لن نصبر على طعام واحد •

يحرفون الكلم عن مواضعه •

ثم توليتم من بعد ذلك •

ثم قست قلوبكم .

وكفرهم بآيات الله .

وقتلهم الأنبياء بغير حق .

أما العقوبات فهى :

ضربت عليهم الذلة .. والمسكنة .

وباءوا بغضب من الله .

يعطوا الجزية .

اقتلوا أنفسكم .

كونوا قردة .

وأنزلنا عليهم رجزا من السماء .

أخذتكم الصاعقة

وجعلنا قلوبهم قاسية .

حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم .

وأذكر الآن صورة هذا البعير .

ان حملت عليه صاح وان خففت عنه صاح . لا تدرى أين رضاه فتجلبه . ولا أين ما يسخطه فتتجنبه .

ولقد صدق القرآن الكريم وهو يصورهم على حقيقتهم فيقول عز وجل :

« واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .

ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (١) .

---

(١) سورة الاعراف : ١٧٥ : ١٧٦

اليهود والمسيح

واذا كان اليهود على هذا الوضع من التمرد والعصيان بينما الأنبياء معهم يبشرونهم وينذرونهم •• فهم أشد قساوة وتمردا فى غيبة هؤلاء الأنبياء •

ولقد مضت عليهم فترة طويلة كانوا فيها كالسوائم يضربون فى متاهات الحياة على غير هدى ••وكانت الغرائز البهيمية وحدها دليلهم الى مصير مظلم يائس •• فلم يتبينوا طريق الحق ومن ثم لم يصلوا الى صخرة النجاة •

وطال عليهم الأمد فقست قلوبهم ••

وأما بخصوص الديانة اليهودية فقد تشوهت تعاليمها بتدهور أتباعها •• فهم وعاؤها وصورتها المرئية على ظهر الأرض •• فلم يكن غريبا أن تختلط بما ليس منها •• ولم يكن أساسها القومى العنصرى بكاف لانتشارها بينما أتباعها فى مثل هذا الحال من التدهور والانحطاط •

يضاف الى ذلك أن عقدة « الشعب المختار » قد جنت عليهم كثيرا وجرتهم الى الدمار والخراب كما يقول « نهرو » فضلا عن أن يغزوهم غيرهم ويفرضوا عليهم عقيدتهم •

ويلتقى الدكتور « فيليب حتى » فى هذا الرأى مع المستر نهرو فيقول :

« عومل اليهود منذ عهد ؟ تومبى » كجماعة متميزة : فكانوا فى عهد الأباطرة معفون من الخدمة فى الجيش • ومن الطقوس الواجبة نحو الامبراطور •

وكانوا بممارستهم سياسة الانطواء والعزلة يغذون شعورهم القومى • وأدى هذا الى اصطدامات اتسعت فأصبحت ثورةقومية بين سنتى ٦٦ : ٧٠ ق•م •

ولقد قيل ان الذين استوطنوا من اليهود أوروبا منذ قرون كثيرة لا يزال نطقهم للغات الأوروبية يمتاز عن لفظ الأوروبيين لها حتى يومنا هذا •

ومن الغريب أن عزلتهم تلك كانت بعض الأسباب التى جعلتهم يحملون على المسيح عليه السلام :

فقد تكاثر اليهود فى بعض الأقاليم الشمالية من فلسطين كالجليل والسامرة •

وأنكر عليهم جمهور اليهود « تأقلمهم » وبعدهم عن خصائص الأمة اليهودية بحيث سمحوا لأنفسهم أن يتبعوا عادات الفرس والهند والعراق •• فبدت عليهم سماحة هذه البلاد ومرونتهم وضيقهم بالوقوف عند النصوص والأشكال ، وهو الأمر الذى يسير عليه جمهور اليهود » •

وإذا كانت هذه النزعة العنصرية الضيقة قددفعتهم الى كراهية بنى جلدتهم لمجرد أنهم عاشروا الغرباء •• فلا شك أن كراهيتهم كانت أشد لسكان « الجليل » الأصليين وهم أهل السماحة والمرونة فى فهم النصوص •

ومن هنا تحددت علاقتهم بالسيد المسيح وكان الحقد من ورائها •

ولهذا السبب نفسه شاءت الارادة العليا أن تكون «الجليل» منبت الدعوة المسيحية •• حتى تتاح لهذه الدعوة السمحة أن تنمو وتزدهر :

وهل ينبت الخطى الا وشيجه

وتنبت الا فى منابتها النخل

وفى هذا المعنى يقول الأستاذ العقاد :

« كانت السماحة الدينية وقلة التحرج هما سبب هذه النقمة على الجليل وأهله فى نفوس أبناء اليهودية المنكرين لكل سماحة والجامدين على كل حرج •

ولكن هذا السبب بعينه هو الذى جعل أرض الجليل أصلح منبت للدعوة الانسانية التى ترقبها العالم فى هذا العصر •

فما كان من اليسير أن تنبثق دعوة الاخاء بين الأمم فى كنف الحجر والجمود » •

وقد واجه السيد المسيح لدى بعثته طوائف من اليهود كان لكل منها موقف معه .. تجمعها كلها كراهيته والكيد له ..وهى

١ — الفريسيون :

وهم المحافظون على الشريعة والمتمسكون بالتقاليد الحــرفية التى يتناقلها الخلف عن السلف .

٢ — الصدوقيون :

وهم الطبقة الاستقراطية من أبناء الاسر النبيلة ويعرفون اليوم « بالقرائين » .

٣ — الكتبة :

ووظيفتهم الحفاظ على الهياكل . وأيضا يعلمون الشريعةتحت مراقبة الكهنة . ودائما كانوا محل تقدير الشعب واحترامه .

٤ — الاسينيون :

فئة غريبة الأطوار ولها علاقة بالديانتين المسيحية والاسلامية ويظن أن « يوحنا المعمدان » كان منها (١) .

هذه هى طوائف اليهود التى أرسل اليها عيسي عليه الصــلاة والسلام .

وقد خصهم أولا بدعوته لأنهم أهله وذووه .. ومن ناحيــة أخرى فهم أصحاب الكتب التى بشرت به .

---

(١) بتصرف عن — تاريخ الاسرائيليين — لشاهين مكاريوس

ولقد كان كل من السببين كافيا للايمان به وعدم التعرض له بأذى •• ولكن الرياح لم تأت بما تشتهى السفن •

وكانت مهمة السيد المسيح شاقة وعسيرة أمام هذا اللون من الناس •• وفى مجتمع تحكم فيه رجال الدين المتمسكون بالقشور الغافلون عن البحث فى المشاكل الجوهرية للشعب :

فالفريسيون « ينطلقون فى الطرقات يبحثون عن الفقراء ليتحققوا من طهارة ثيابهم ومنازلهم وحوانيتهم • ولكنهم لا يهتمون كثيرا بطهارة النفس •

فالفواحش ترتكب دون أن يحركوا ساكنا • فانما كل مايهمهم نظافة الثوب •

ونصغى الى كبار الخاخامين فى المعبد فى موسم الحج فنجد شريعة موسى قد عقدت وتفرعت مذاهب : فما يحلله « هلل » يحرمه « شماس » •

وهذه « أورشليم » غارقة فى المشاحنات الدينية • وبنو اسرائيل يرسفون فى أغلال الكهنة راضين •

فقد ثبتوا فى أذهانهم أن الله اختارهم لحفظ الدين والناموس وراحوا يشغلون الناس بالمحظورات والمحرمات ويقسمونها الى أقسام ودرجات •

« فشماس » فى تزمته يمنع فى يوم السبت عيادة المريض •• بل يحرم فيه الدفاع عن النفس وقتال الاعداء وان جاءوا للبلاد محتلين •

والشيوخ يحرمون حمل شيء فيه وان كان ابرة أو كان قطعة من قماش ثوب زينت ثوب امرأة ولم تثبت فيها .. حتى الاسنان الصناعية .

أظهروا التقشف رياء للناس .. حتى ان فـريق « الجبـاه الدامية » من الفريسيين كانوا ينطلقـون فى الطـرقات مغمضى العيون لكيلا تقع عيونهم على النساء فيتخبطون فى سيرهم .. وبالجدران يرتطمـون .. فتسـيل الدماء على الجبـاه ارضاء للناموس .

اذا جاع اليهودى يوم السبت ولم يكن عنده ما يأكله . فخير له أن يموت جوعا من أن يطهو طعامـه ويكسر السبت .. لأن كاسر السبت يستحق الرجم . وأما من مات فى سبيل حفظه فهو شهيد » (١) .

وما أقسى حياة الانسان فى مجتمع كهذا تجمد فيه الآراء ولو كانت خطأ .. ويصبح التمسك بالقديم مهما كان صوابا .. فى الوقت الذى يعتبر الجديد مهما ثبتت صـلاحيته رجسا من عمل الشيطان .. واذا كان هذا ديدن رجال الدين وهم طوق النجاة وحملة الوحى فما أفدح العبء الذى تحمله السيد المسيح . لاسيما وأن لهذا الجمود المتحكم خطره فى علاقة الفرد بالمجتمع . وضياع الفضلاء من الناس فى أشـكال ومراسم يتخـذها الكهان شرعة

---

(١) عبد الحميد جـودة السحار : المسيح عيسى بن مريم

ومنهاجا ويصبح زمام الأمور فى يد حفنة من الناس يستغلون هذا الوضع المشين للتسلق على أكتاف الغير فى غيبة الموازين الصحيحة للاخلاق وعدم وجود المصلح الاجتماعى الذى ينقذ السفن وهو يترنح تحت ضربات الرياح •

ويصور الأستاذ عباس العقاد هذا العصر فى كتابه « عبقرية المسيح » فيقول :

« وكانت له آفتان بارزتان :

احداهما : تحجر الأشكال والأوضاع فى الدين والاجتماع ••

والأخرى : سوء العلاقة بين الأمم والطوائف مع اضطرارها الى المعيشة المشتركة فى بقعة واحدة من العالم المعمور •

وعلى الخصوص تلك الأقاليم التى نسميها اليوم بالشرق الأدنى •

تحجرت الأشكال والأوضاع • وغلبت المظاهر على كل شىء وتهافت الناس على حياة القشور دون حياة اللباب •

فكل مغانم الحياة عندهم سمت وزينة وأبهة ومحافل وشارات وانتقلت الحضارة من الداخل الى الخارج • أو من النفس الى الجسد • كما يحدث دائما فى أعقاب الحضارات •

تبدأ فى عالم الفكر والوجدان •• ثم تستفيض العمارة فتميل الى التجسم والتضخم • وتفقد من قوة النفس والضمير بمقدار ما تكسب من مظاهر المادة والمال •

تجمعت الثروة والكسل فى ناحية .. وتجمعت الفاقة والجهد المرهق فى ناحية أخرى :

فغرق السادة فى الترف .. وغرق العبيد والارقاء فى الشقاء وفسدت حياة هؤلاء وهؤلاء .

وتحجر نظام المجتمع وأصبح أشكالا ومراسم خلوا من المعنى والغاية .

وتحجرت معه الشرائع والقوانين . فلم يكن غريبا أن تنقش على حجارة . وأن يرتفع ميزانها فى يد عدالة معصوبة العينين .

وتحجرت العقائد الوثنية فى الدولة الرومانية .

وتحجرت العقائد الكتابية بين بنى اسرائيل فأصبح فرق الشعرة بين النصين يقيم الحرب لحامية على قدم وساق .

وأصبحت التقوى علما بالنصوص وبحثا عن مراسم الشريعة .

.. أشكال وقشور .. ولا جوهر هناك ولا لباب .

وساءت العلاقة بين الامة والامة وبين الطائفة والطائفة .وبلغ الحس بسوئها غايته . لأن الذين يعانون من سوئها يعيشون فى نطاق واحد ويخضعون لحكم واحد فلا فكاك منه بحال .

دنيا آفتها مظاهر الترف . ومظاهر العقيدة .

ومن وراء ذلك باطن هواء . وضمير خواء .

فلا جرم يكون خلاصها فى عقيدة لا تؤمن بشىء كما تؤمن ببساطة الضمير •• ولا تعرض عن شىء كما تعرض عن المظاهر •

ولا تضيق بخلاف كما تضيق بالخلاف على النصوص والحروف وفوارق الشعرة بين هذا التأويل وذلك التحليل •

عقيدة : قـوامها أن الانسان خاسر اذا ملك العـالم بأسره وفقد نفسه •

وأن ملكوت السماء فى الضمير وليس فى القصور والعروش •• وأن المرء بضميره وما يفكر فيه •• وليس بما يأكله ويشربه وما يلبسه وما يقيمه من صروح المعابد والمحاريب »

وتلك كانت مهمة المسيح عليه السلام بعقيدته الجديدة التى تتعلق بها الآمال فى الاصلاح المنشود وعودة المياه الى مجاريهـا بعيدا عن ظاهر الحياة الدنيا •

ما جئت لأنقض ..
بل لأكمل ..

جاء المسيح عليه السلام ليرسلها بشريات تخفف من حدة هذه الطبائع الجامدة حتى تصح صلتها بالله فيصح تصورها للكون والحياة . ويصدق حكمها على الناس والأشياء .

وما كان لغير دعوة الحب والسلام كما نادى بها السيدالمسيح أن تصلح لقيادة الناس الى بر الأمان .

وما كانت دعوتها تلك بدعا من الدعوات .. ولكنها امتداد للناموس الذى أنزله الله على موسى بلسان أخ له فى الله .. وفى هذا يقول مخاطبا بنى اسرائيل .

« لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء .. ماجئت لأنقض بل لأكمل . فانى الحق أقول لكم :

الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا .. يدعى أصغر فى ملكوت السموات .. وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات » (١) .

---

(١) متى : ص ٥

ومضى فى طريقه المرسوم يردد دعـوته الى كل الفضائل فى شريعة موسى عليه السلام •• بل ويتقدم بهم خطوة الى الامام محاولا أن يأخذهم معه الى قمة هذه الفضائل :

« سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تحنث • بل أوف للرب أقسامك وأما أنا فأقول لكم :

لا تحلفوا ألبتة : لا بالسماء لأنها كرسى الله • ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه ولا بأورشليم لانها مدينة الملك العظيم •

ولا تحلف برأسك لأنك لا تقدر أن تجعل شـعرة واحـدة بيضاء ، أو سوداء •

بل ليكن كلامكم : نعم نعم • ولا لا • وما زاد على ذلك فهو من الشرير •

سمعتم أنه قيل : عين بعين • وسن بسن وأما أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشر •• بل من لطمك على خدك الأيمن فحـول له الآخر أيضا • ومن أراد أن يخاصـمك ويأخـذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا » (١) •

وكان على بنى اسرائيل أن يستمعوا اليه ويؤمنوا بما جاء به لا سيما وهم جميعـا كانوا يتوقعـون بعثـة رائد ينتشلهم من وهدتهم •

---

(١) متى : ص ٥

فلما جاءهم عيسى عليه السلام لم يعلن عن نفسه كرئيس حزب يستجدى عواطف الجماهير .. ولم يحاول الاصطدام بالكهنة فى محاريبهم بل هادنهم ومد يده اليهم حتى لا تسول لهم نفوسهم تأليب الناس عليه وافساد خطته .

ذات يوم جاءه ابرص وقال له :

« يا سيد : ان أردت تقدر أن تطهرنى . فمد يسوع يده ولمسه قائلا : أريد فاطهر .. وللوقت طهر برصه . فقال يسوع :

انظر أن لا تقول لأحد بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم » (١) .

وعلى الرغم من كل هذه الأسباب التى تهتف به نبيا ورسولا .. ومع أنه يحمل فى يده غصن الزيتون لعله يستميل الكهنة الجامدين ليكونوا معه على هذه الخراف الضالة من بنى اسرائيل .. لكنه لم يقابل بما هو أهل له من التقدير .

ووقفوا منه موقف الجاحد المستكثر على رجل منهم أن يقول ربى الله وقد جاءهم بالبينات من ربهم وقالوا ساخرين :

« أليس هذا هو يسوع بن يوسف الذى نحن عارفون بأبيه وأمه . فكيف يقول هذا انى نزلت من السماء » (٢) .

---

(١) متى : ص ٨

(٢) يوحنا : ص ٦

« أليس هذا ابن النجار . أليست أمه تدعى مريم واخـوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا أو ليست اخواته جميعهن عندنا فمن أين لهذا هذه كلها » (١) .

وبذلك يخطئون اذ يربطـون بين العظمة وشرف النسب .. ناسين أو متناسين أن عناصر القيادة يمكن أن تولد فى ظل كوخ صغير .. وكم يكون حسـنا لو أنهم تأملوا فيما يدعوهم اليـه ليتبينوا صدقه أو كذبه .. وعلى أساس من الدراسة والمقارنة يمكنهم أن يحددوا موقفهم منه . غير أن شيئا من ذلك لم يحدث

ولا بأس أن يسير معهم متجاهلا ما يقولون .. فهو طبيب .. والطبيب يباشر علاج المريض مهما كان الثمن .

لو كان من بيت نجار كما يعتقدون هم .. ولو كان له اخوة يغيبون فى زحمة الناس بلا جاه أو نفوذ . الا أن هناك نسبا أقوى من الانساب كلها . ورابطة أوثق من كل ما يربط الناس بعضهم ببعض .. انه الاتصال بالله عز وجل .. وبه وحده يكون الانسان ربانيا يقول للشىء كن فيكون .

وقد حظى بشرف عظيم اذ انفتحت (له) السماء ونزل عليـه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلا :

أنت ابنى الحبيب بك سررت » (٢) .

---

(١) متى : ص ١٣
(٢) لوقا : ص ٣

واذا وصل الأمر الى هذا الحد من الوضوح ولم يؤمن أحد .. فليس هناك من سبب يفسر موقفهم الغريب الا أنهم يحقدون طبع الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة .

فليبدأ معهم بوسيلة أخرى لعلها تجدى نفعا .

ويبدأ سيل من المعجزات على يديه .. فلعل فى هذه التطورات الغريبة المذهلة ما يصدمهم كتيار كهربائى يفيقون بعده على صوت الحق يأخذ بحجزهم مادامت الحكمة والموعظة الحسنة باتت لا تؤدى دورها . وتمر من فوق أفئدتهم كما تمر النسمة العليلة بالحجر الأصم .

« وجاء إلى جانب بحر الجليل وصعد الى الجبل وجلس هناك .. فجاء اليه جموع كثيرة .. معهم عرج وعمى وخرس وشل وآخرون كثيرون . وطرحوهم عند قدمى يسوع فشفاهم حتى تعجب الجموع رأوا الخرس يتكلمون والشل يصحون والعرج يمشون والعمى يبصرون .. ومجدوا إله اسرائيل » (١) .

وأمام هذه الحقائق الكبيرة والواقع الشاهد بصدقه الى حد لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح عنزان .. ماذا حدث ..

وكأنما خاف الفريسيون وهم أكثر الطوائف عددا وأحسنهم سمعة .. خافوا على مركزهم أن يهتز وعلى سلطانهم أن يزول اذا هم صدقوه فقالوا :

---

(١) لوقا : ص ٤

« برئيس الشياطين يخرج الشياطين » .

ولم تكن المعجزات فى مذهبه غاية .. بل وسيلة الى حملهم على الايمان . ولو كان المسيح رجلا يسعى الى مجد شخصى لنسبها الى نفسه ونال ما تمنى وأراح نفسه من شرورهم .

ولكنه يربط بين هذه المعجزات وبين الايمان .. حيث يرجع الى الايمان كل مظاهر الحياة التى يشاهدونها على يديه مريدا بذلك لفت أنظارهم اليه ونبذ ما هم عليه .

جاءته « امرأة نازفة دما منذ اثنتى عشرة سنة .. قد جاءت من ورائه ومست هدب ثوبه . لانها قالت فى نفسها : ان مسست ثوبه فقط شفيت .

فالتفت يسوع وأبصرها فقال :

ثقى يا ابنة .. ايمانك شفاك .. فشفيت المرأة من تلك الساعة » (١) .

ويشير القرآن الكريم الى كل هذه المعانى مبينا أنه جاء ليضع حدا لهذا الخلاف المحتدم بين طوائف اليهود بالحكمة التى خصه الله بها .. ومشيرا الى ألوان من المعجزات مع ربطها بالايمان بالله عز وجل .. وأنه واحد من الأنبياء يمشى فى نفس الطريق الذى سار فيه موسى من قبل بكتاب يصدق ما جاء به التوراة من أحكام ومبادىء فى قوله تعالى :

---

(١) متى : ص ٩

« ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون • ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (١) •

« ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله . وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين .

ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ان الله ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم » (٢) •

---

(١) سورة الزخرف : ٦٣ ــ ٦٤

(٢) سورة ال عمران : ٤٨ : ٥١

مسألة السبت

وتحريم العمل فى يوم السبت كان تشريعا مؤقتا ومحليا • وقد بين هذا التـوقيت على يد عيسى ومحمـد عليهما الصـلاة والسلام •

وقصة السبت تتلخص فى أنهم :

« كانوا زمن داود عليه الصـلاة والسـلام بأرض يقال لها « أيله » حرم الله تعالى عليهم صيد السمك يوم السبت •

فكان اذا دخل السبت لم يبق حوت فى البحر الا حضر هناك وأخرج خرطومه حتى لا يرى الماء من كثرتها • فاذا مضى تفرقت ولزمت قعر البحر • فذلك قوله تعالى :

« اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون » •

ثم ان الشيطان وسوس اليهم وقال : انما نهيتم عن أخـذها يوم السبت •

فعمد رجال فحفروا الحياض حول البحر وشرعوا منه اليها الأنهار •• فاذا كان عشية الجمعة فتحوا تلك الأنهار فأقبل الموج بالحيتان الى الحياض •

•• فاذا كان يوم الأحد أخذوها (١) •

ومع أنهم اختاروا يوم السبت ليكون يوم عبادتهم بدل يوم الجمعة — لأن الله فرغ فيه من خلق السموات والأرض — مع هذا فقد احتالوا عليه ودبروا أمرهم بليل •• فاحترموا الشكل وعطلوا المضمون بل اعتدوا عليه •

وحاشا لأوامر الله أن تكون طقوسا جامدة وهياكل لا روح فيها •• والذين لا يحترمون روح هذه الأوامر من بنى اسرائيل مذنبون خارجون على القانون •

وقد وصلت بهم الوقاحة الى حد يتهمون فيه المسيح لأنه يشفى مريضا يوم السبت ••

أى أنهم يبيحون لأنفسهم الاعتداء على الجوهر وتعطيله متمسكين بالمظهر بينما يهاجمون عيسى لانه ينفذ الى اللباب ليأخذ بيدهم الى ما يريد من كلامه :

وهو أن العبرة بالقلب لا بالقالب •• بالروح لا بالمادة •

« كان يعلم فى أحد المجامع فى السبت واذا امرأة كان فيها روح ضعف ثمانى عشرة سنة • وكانت منحنية • ولم تقدر أن تنتصب ألبتة • فلما رآها يسوع دعاها وقال لها :

يا امرأة : انك محلولة من ضعفك • ووضع عليها يديه ففى الحال استقامت ومجدت الله •

---

(١) الخطيب الشربيني : السراج المنير حـ ١ ص ٦٣-٦٤

فأجاب رئيس المجمع وهو مغتاظ لأن يسوع أبرأ فى السبت وقال للجمع :

هى ستة أيام ينبغى فيها العمل • ففى هذه ائتوا واستشفوا وليس فى يوم السبت • فأجابه الرب وقال يا مرائى :

ألا يحل كل واحد منكم فى السبت ثوره أو حماره فى المزود ويمضى به ويسقيه •• وهذه هى ابنة ابراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة •• أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط فى يوم السبت » •

ويكشف هذا الحوار عن طبيعة بنى اسرائيل التى تقف عند الأشكال والصور فيتيح للحمير والثيران مالا تبيحه للانسان •

وفى سخرية لاذعة يواجههم المسيح بفصل الخطاب كاشفا لهم عن العدو الحقيقى للانسان وهو الشيطان داعيا الى بذل كل مجهود لتحرير الانسان من اساره •• واذا كان الحيوان الابكم يحظى فى هذا اليوم بطعامه وشرابه فلا أقل أن يتحرر الانسان فيه من علله وأسقامه لأن هذا جوهر الأديان التى ما جاءت الالتحرير بنى الانسان ورفع أقدارهم لتكون فوق مستوى الحيوان •

ولأنهم يعيشون فى حدود يومهم جاهلين بأمر هذا الكون وغايته •• ولأن على أبصارهم غشاوة تمنعهم من رؤية الحق ومعرفة أقدار الرجال يدفعهم الحقد يوما فيقولون له :

« أنت تشهد لنفسك شهادتك ليست حقا •

أجاب يسوع وقال لهم :

ان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق • لانى أعلم من أين أتيت والى أين أذهب ؟ • وأما أنتم فلا تعلمون من أين آتي ولا الى أين اذهب ؟ » (١) •

انه نبى يعى ما يقول لأنه يعلم من أين بدأ والى أين المصير؟ ولذلك فشهادته شهادة العارف •• فهى حق •

أما بنو اسرائيل فلا يعلمون من أمره الا انه ثائر علىأوضاعهم ناقم على ما يؤمنون به من قيم فاسدة •• وقبل أن يفكروا فى صدق ما يقول يقذفونه بأهوائهم هكذا على غير هدى •• فشهادتهم باطلة لأنها لم تبن على فهم سليم •

والواقع أن تعرض السيد المسيح لمباشرة هذه الأعمال فىيوم السبت أمر له دلالته :

فقد كانت احتكاكا غير مباشر باليهود المتزمتين • لتبدأالدعوة طورا آخر يكشف فيه نواياهم بصورة أوضح يلتقى فيها الحق بالباطل وجها لوجه فى معركة حياة أو موت • فلم يكن ليستمر فى مهادنته للباطل على حساب الحق •

وان نفوسهم لتسمح بعملية الختان فى يوم السبت أما اذا تعلق الأمر بحياة الانسان كلها أنكروه •

---

(١) يوحنا : ص ٨

وازاء هذا المنطق المعكوس يخاطبهم مفندا وجهة نظرهم . مبينا لهم معنى الايمان بموسى :

« فى السبت تختنون الانسان .. فان كان الانسان يقبل الختان فى السبت لئلا ينقض ناموس موسى .. أفتسخطون على لأنى شفيت انسانا كله فى السبت .

لا تحكموا حسب الظاهر . بل احكموا حكما عادلا » (١) .

فاذا أحرجهم هذا المنطق البسيط البليغ هربوا من الجواب الموضوعى واحتموا بموسى عليه السلام قائلين :

« انا تلاميذ موسى .. نحن نعلم أن موسى كلمه الله وأماهذا فما نعلم من أين هو » (٢) .

ويرضى السيد المسيح بموسى عليه السلام حكما بينه وبينهم مؤكدا وحدة رسالتهما .. يشهد بذلك ما كتبه موسى عنه قبل ذلك :

« لا تظنوا أنى أشكوكم الى الأب . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم . لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى . لأنه هو كتب عنى .

فان كنتم لستم تصدقون كتب ذاك فكيف تصدقون كلامى » (٣) .

---

(١) يوحنا : ص ٧
(٢) يوحنا : ص ٩
(٣) يوحنا : ص ٥

واذا بلغ الأمر هذا الحد من الوضوح وما زالوا جاحدين .. فمعنى هذا أن الهوى هو الذى يتكلم ويناقش المسيح . فليبحث الهوى لنفسه عن منفذ آخر فى محاولة لانقاذ نفسه من الهاوية .

وكما يلجأ « أبناء الذوات » اليوم الى الحسب والنسب يتغنون به اذا ما أعوزتهم الحيلة وفقدوا مركزهم فى الحياة .. لجأ اليهود الى التلويح بكرامة النسب وعراقة الأصل .. فهم أبناء ابراهيم .. وكفى .

واعتقادهم بأنهم أولى الناس بابراهيم دون سواهم . كون عندهم ما يشبه العقدة النفسية التى شكلت سلوكهم على نحو جعلهم فى واد وكل الأجناس فى واد آخر .. وجرت عليهم ويلات لا قبل لهم بها .

ولكن المسيح عليه السلام شدد النكير على هذه النزعة السلبية كاشفا عن الابن الحقيقى لابراهيم .. وهو الذى يسير على نهجه واتبع هداه وليس بمجرد قول يتحرك به اللسان .

« بينما هو يتكلم بهذا آمن به كثيرون فقال يسوع لليهود الذين آمنوا به :

انكم ان ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى . وتعرفون الحق والحق يحرركم .

أجابوه : اننا ذرية ابراهيم ولم نستعبد لأحد قط . كيف تقول أنت انكم تصيرون أحرارا ؟ .

أجابهم يسوع : الحق أقول لكم ان كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية » (١) •

وبذلك يحرر السيد المسيح مفهوم الحرية فى أذهانهم •• فليسو أحرارا لمجرد أنهم أبناء ابراهيم وبالوراثة •• وانما الحر حقا هو الرجل الذى تحرر من الخطيئة وارتفع على أهواء نفسه وتلك رسالة عيسى •• وفى ذلك يقول لهم مبينا هذا الفارق الكبير بين دعواهم أبوة ابراهيم لهم وبين أعمالهم فى دنيا الواقع :

« فان حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارا • أنا عالم أنكم ذرية ابراهيم لكنكم تطلبون أن تقتلونى لأن كلامى لاموضع له فيكم ••

•• لو كنتم أولاد ابراهيم لكنتم تعملون أعمال ابراهيم •

•• أنتم من أب هو •• ابليس » (٢) •

وكم كان سهلا أن يقبل من هذا النفر ايمانهم على علاتهم •• ولكنه يناظر ويحاور ليميز الله الخبيث من الطيب وليعلم الجميع أنه لا يريد أن يجمع من حوله حشدا من الناس يؤدون له فروض الولاء فيرضون بذلك نزعة الاستعلاء فيه • ولكنه ينشد صلاح القلوب ورفاهية العيش •• وحتى اذا وفق وحقق هذه الغاية

---

(١) يوحنا : ص ٨
(٢) يوحنا : ص ٨

فالشكر لله وحده الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وأن ثمرة الايمان تعود على المؤمن نفسه والعكس صحيح •

« قالت له — امرأة — طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين رضعتهما •

أما هـو فقال : بل طـوبى للـذين يسـمعون كلام الله ويحفظونه » (١) •

ويلجأ السيد المسيح الى القصة فيضربها للناس مثلا :

« كان انسان رب بيت غرس كرما • وأحاطه بسياج•وحفر به معصرة وبنى برجا وسلمه الى كرامين وسافر •

ولما قرب وقت الاثمار أرسل عبيده الى الكرامين ليأخذ أثماره فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا ثم أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك • فأخيرا أرسل اليهم انه قائلا : يهابون ابنى •

وأما الـكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هـذا هو الوارث • هلموا نقتله ونأخذ ميراثه •

فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه •

فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين • قالوا له : أولئك الأردياء ، يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها قال لهم يسوع ••

---

(١) لوقا : ص ١١

•• ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هوعليه يسحقه »(١).

صحيح أنهم ذرية ابراهيم ولكن هذا الامتياز يفرض عليهم أن يكونوا معه على أمر الله تعالى •• فيستمعون اليه ويتحملون مسئولية الايمان بكل ما جاء به لأنه هو بعينه ما أرسل به ابراهيم عليه السلام ولقى الله عليه .

فاذا لم يستجيبوا •• فمعنى ذلك أنهم يتبعون أهواءهم •• ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله .

واذن فليسمعوا النذير المدمدم يصك أسماع المنكرين الجاحدين :

« من سقط على هذا الحجر يترضض •• ومن سقط هو عليه يسحقه » .

غير أن طبيعتهم العصية على الايمان لم تذعن لنداء السلام . ومضوا من بين يديه وفى صدورهم عزم على خطة جديدة :

فهل ينفسون عن حقدهم بقتله .

فكر الكتبة والفريسيون فى هذا لأنهم أيقنوا أنه يعنيهم بأمثاله وأقواله .

لكنهم لم يؤمنوا بالقتل الآن كحل للمشكلة « وخافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبى » (٢) .

ودبروا أمرهم بليل :

---

(١) متي : ص ٢١
(٢) متى : ص ٢١

حملة تضليل :

لم تسعفهم الظروف ليحاربوه بطريقة علنية خشية الجموع المفتونة به المأخوذة بكلامه لأنه فى تصورهم نبى ٠

فجهزوا حملة من التضليل تتخذ صورة مجموعة من الأسئلة المغرضة تضعه فى موقف حرج : فاما أن يسكت فلا يجيب٠٠واما أن يجيب فينال بذلك شريعة موسى ٠

فاذا ما حدث ونال موسى بالتجريح كان ذلك ثغرة ينفذون منها الى قلوب الجماهير المفتونة به لتميت فيها حبه وتقديره ٠٠ وينجحون — حسب تقديرهم — فى القضاء عليه :

« جاء اليه صدوقيون الذين يقولون : ليس قيامة ٠٠ فسألوه قائلين يا معلم :

ان مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقم نسلا لأخيه ٠٠

فكان عندنا سبعة اخوة وتزوج الأول ومات ٠ واذا لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه ٠٠ وكذلك الثانى والثالث الى السبعة٠ وآخر الكل ماتت المرأة أيضا ٠٠ ففى القيامة لمن من السبعة تكون فانها كانت للجميع » (١) ٠

وظنوا أنهم أفلحوا فى التضييق عليه ٠ ولم يطل انتظارهم حتى جاء الجواب حاسما :

---

(١) متى : ص ٢٢

« وقال لهم :

تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله • لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون • بل يكونون كملائكة الله فى السماء » (١) •

وفى سلسلة من هذه الأسئلة يكشف عن موقفهم المتعنت ويلزمهم كلمة الحق فيفضح سرهم أمام جماهير الناس المأخوذة بعلمهم •

ولم يشأ السيد المسيح أن ينهى معهم هذا الجدل دون أن يكيل لهم بنفس الكيل •• تبكيتا لهم وليكون الجزاء من جنس العمل •• فسألهم مرة قائلا :

« ماذا تظنون فى المسيح • ابن من هو ؟ •• قالوا له : ابن داود •

قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا ؟ : قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك •

فان كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه ؟ •

فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة •• ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة » (٢) •

---

(١) متى : ص ٢٢
(٢) متى : ص ٢٢

وفسدت بذلك خطتهم الماكرة وعجزوا عن الصيد فى المـاء العكر •• وسقطوا فى ذات الحفرة التى حفروها غير مأسـوف عليهم ••

الشرك السياسى :

ماذا تبقى فى جعبتهم من سهام ؟ •

لقد عيروه بنسبه ••

ورفضوا أن تكون هناك صلة ماتربطه بموسى عليه السلام •

وطلبوا منه معجزات •• فجاءت كما طلبوا •• وفوق ماطلبوا•

ولكن الفشـل كان حليفهم دائمـا •• وكلما ازدادوا اخفاقا زاد حقدهم عليه وامتدت أشواكه مع الأيام ••

وتضخم هذا الحقد يوما فولد فى أذهانهم فكرة •

لماذا لا يحاولون أن يوغروا صدر السلطان عليه ؟ •

فليجربوا هـذه المـرة أن يؤلبوا عليه السـلطة الزمنية بعد أن عجزوا بأسئلتهم الملتوية أن يوقعوا بينه وبين السلطة الدينية•

فلتكن هناك مؤامرة من هـذا النوع يقصـد بها أن يحتك بالسلطان بطريق مباشر •• فاذا صرح يوما بقضايا توهم ادعاءه الولاية ومنازعته للسلطان نجحت الخطة وتدخل السلطان ليسكت هذا الصوت ويضع حدا لنفوذه فى قلوب الناس ••

وتبدأ المؤامرة تنسج خيوطها حول رقبته بهذا السؤال :

« قال له واحد من الجمع يا معلم :

قل لأخى أن يقاسمنى الميراث •• فقال له يا انسان : من أقامنى عليكما قاضيا ومقسما • (١)

ويحاول الهوى المتحكم فى نفوسهم أن يجمع أشلاءه فى محاولة أخرى للوقيعة بينه وبين السلطان :

قالوا له يا معلم :

هذه امرأة امسكت وهى تزنى فى ذات الفعل • وموسى فى الناموس أوصانا أن مثل هذه ترجم • فماذا تقول أنت • قالوا هذا ليجربوه لكى يكون لهم ما يشتكون عليه » فلو قال ارجموها لكان هذا ادعاء للولاية والنتيجة معروفة •

وان قال اتركوها •• فهو ينقض شريعة موسى •• وهنا تكون الطامة الكبرى •• فأحلى الحكمين مر ان صح هذا التعبير :

فهو اما أن يصطدم بالحاكم فيردى •• أو يغضب الجماهير فتذهب محبته من قلوبهم •

وهذه وتلك غاية يسعى المتزمتون من اليهود اليها •

ويرسلها المسيح من قلبه كلمة باقية لعلهم يرجعون •• انه يحتكم الى فطرتهم وواقعهم •

فيقول لهم :

---

(١) لوقا : ١٢

من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » (١) .

فليغمض كل واحد عينيه .. ثم يفكر مخلصا فى أمر نفسه : هل هو أبيض الصحيفة لم يخطىء يوما .

لا شك أن سياحة قصيرة داخل النفس .. يعود الانسان منها آسفا لما يغص هذه النفس من الخطايا .. فكل بنى آدم خطاءون ..

فليبدأ كل واحد منكم بنفسه فلينهها عن غيها .. فاذا انتهت عنه جاز له أن يتدخل فى شئون الآخرين طالبا القصاص .

أما أن ينوء كاهلكم بالفواحش ثم تسوقون هذه المرأة فى مظاهرة مغرضة فمرحلة لا معنى لها الا اذا طهرتم نفوسكم أولا .. وتلك علة العلل .

ويمضى الجميع من بين يديه ومن خلفه تجللهم حمرة الخجل .. وبقيت المرأة وحيدة تترقب منه كلمة حانية يمسح بها ما تلاقى من عذاب ..

ويقول لها :

« اذهبى ولا تخطئى أيضا » .

وتذهب المرأة .. وتذهب معها آمال اليهود فى الوقيعة به .

وفى ذات الوقت يحاول اليهود مستميتين أن يلقوا «الورقة» الأخيرة .. لعل وعسى .

---

(١) يوحنا : ص ٨

وجاءت الورقة هذه المرة أكثر صراحة وجدية بحيث — لو أجاب كما يشتهون — ينكشف الخطأ أمام عين السلطان ولا يغنيه تهربه من الجواب ..

حينئذ ذهب اليه الفريسيون وقالوا له يا معلم :

« نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد . لأنك لا تنظر وجوه الناس فقل لنا ما تظن : أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا .. فعلم يسوع خبثهم » (١) .

فلو كانوا صادقين فى دعواهم أنه سائر فى طريق الله لايخشى فى الحق لومة لائم لكفوا أنفسهم مئونة السؤال وحلت المشكلة نفسها تلقائيا .

ولكنه الخبث يسوقهم سوقا .. فيفرشون له الطريق الى الهاوية بالورود والرياحين فيتردى فيها .. كما يغلف كثير من الخبثاء اليوم مؤامرتهم فى كلمات معسولة قد تكون من الدين أو بعيدة عنه فى سبيل الوصول الى ما يريدون .

ولم يكن من الصعب عليه أن يكشف عن هذه النوايا .. ويعلن عن هذا المكر المختفى وراء أكمة من الكلمات البراقة والمنطق الطلى ..

---

(١) متى : ص ٢٢

وكما نقل موضوع الحديث فى موضوع المرأة الآنفة الى شىء أهم من مشكلتها .. ينقل الكلام معهم اليوم الى صورة قيصر على الدينار ويجعلها موضوع حديثه مفوتا بذلك غرضهم فقال لهم :

« لماذا تجربوننى يا مراؤون . أرونى معاملة الجزية .. فقدموا له دينارا فقال لهم :

لمن هذه الصورة والكتابة . قالوا له لقيصر . فقال لهم :

اعطوا اذن ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا » (١) .

وبهذا المنطق الساخر الصادق معا يسقط القناع المزيف عن وجه اليهود القبيح .. وتتبدى الهوة فاغرة فاها .. لا لتبتلعه هو .. بل لتستقبلهم مرة اخرى اذلاء صاغرين .

أجل .. لم « يصعب عليه أن يحطم الشرك السياسى الذى يصبوه له ليسمعوا منه اشارة باعطاء الجزية أو بعصيان الدولة . وأراهم أنهم يتعاملون بنقود قيصر ويكنزون منها الثروة والمال .

فلماذا لا يعطون ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (٢) .

واذن فقد نجح السيد المسيح فى التجربة وخرج منها وضاح الجبين :

« وطوبى للرجل الذى يحتمل التجربة . لأنه اذا تزكى ينال اكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه » .

---

(١) متى : ص ٢٢

(٢) عباس العقاد : عبقرية المسيح ص ١٢٤

نهاية المطاف

لم يكن من الصواب وقد تمادى اليهود فى غيهم أن يستمر السيد المسيح فى مهادنتهم بينما هم لا يفتأون يخترعون الحيل ويحيكون المؤامرات لعرقلة سير الحق .

فمهادنته كانت الى حين واستهدافا لغاية معينة .. واتاحة لفرصة يفكرون فيها فيعودون الى صوابهم ويسيرون معه على نفس الطريق .

فاذا لم يتحقق هذا الغرض وأبى اليهود الا الابقاء على « حالة الحرب » بينما يتشدقون كل لحظة بالسلام . فلا عليه اذن أن يبدأ مرحلة يكاشفهم فيها بحقيقة نياتهم .. ويصحح المفاهيم التى يلقونها فى روع الناس زورا حتى لا يغتر بهم بعض السطحيين .

ولليهود وسائل خداعة فى تزييف الحقائق يلجأون اليها الى هذه اللحظة التى أكتب فيها هذه السطور .

وهذا زعيم صهيونى اسمه « قارون » يفتن الجماهير بمايملك من مال ومتاع فلعله يسرق انتباههم فيلقى اليهم بكل منكر من القول وزور ينحرف بهم عن جادة الصواب .

وفعلا يفتن بعض الاغرار « فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ما أوتى قارون انه لذو حظ عظيم .

وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون .

فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين .

وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون : ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن من الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون .

تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » (١)

والظروف التى يمر بها وطننا اليوم تقتضينا أن نقف قليلا أمام هذه الآيات الكريمة :

ان قارون كان من قوم موسى . ولكن حسده على موسى يدفعه الى أن يعتز له باتباعه ويعلنها عليه حربا شعواء . مستخدما علمه بالكيمياء حيث در عليه مالاً وفيراً .

ويختار « الحرب النفسية » لإضعاف موسى وفض المؤمنين من حوله .. واغراء النفعيين الى السير فى ركابه وهو الغنى القوى :

---

(١) سورة القصص : ٧٩ ـ ٨٣

فهو يتخذ من أنهار المال وسيلة الى صنع مظاهر تخطف الأبصار خطفا :

فاذا خرج من قصره خرج فى تسعين ألفا من اتباعه يركبون خيولا وبغالا يزينها الذهب والقطيفة الحمراء •

وحتى مفاتيح خزائنه تحمل معه على ستين بغلا •

ان مظاهرة كهذه لتفعل فعل السحر فى قلوب الناس •وتحجب عن العقول رؤية الحق فى زحمتها •• ولقد سال لها لعاب كثير منهم فعلا فقالوا :

« يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون » •

ولكن الذين أوتوا العلم من المثقفين والمربين يكشفون لهم عن زيف هذا المشهد على ما فيه من بريق ••

ويلكم • هناك فى الآخرة ثواب الله عز وجل فى الجنة فهو خير لمن آمن وعمل صالحا مما أوتى قارون فى الدنيا • ولن يوفق الى العمل من أجل الآخرة ويتلقاه بالرضا الا الذين يتسلحون بالصبر :

نحن نعلم أن قارون غنى •• وعالم •• وجميل المنظر كثير الخدم والحشم •

لكنكم يجب أن تنصتوا قليلا لتستمعوا الى ما يقوله بشأن هذه النعم :

« انما أوتيته على علم عندى » • فهو رجل مغـرور لا يرد الفضل الى صاحب هذا الفضل •• بل يرجعه الى مواهب شخصية يدعيها لنفسه •

انه رجل « انتصر » على غيره من الناس فبات أكثرهم مالا • ثم هو يسخر هذا المال فيشترى به صحفا •• واذاعات ووكالات أنباء •• تتسابق اليه فتنقل الى أنحاء العالم أنباء هذا الانتصـار مشفوعة بصورة الجماهير المحيطة به •• واقطات لكل ما يرفل فيه من نعيم يؤكد أنه وحده العالم •• وأنه وحده على حق والا لما اختصه الله بهذا النعيم دون سواه ••

وتلك سمة التفكير الصهيونى منذ القدم وأسلوبه الفـريد فى العمل •

فقد يمتحن الله جنده يوما لعلهم يرجعون اليه عـز وجل •• فيتخذ الأعداء من هذا الدرس وسيلة لحرب نفسية تذهب ماتبقى من عزم على البقاء وتصميم على القتال •

فاذا ما وجد المؤمنون بالقيادة •• واذا ما صحت العيـون على الواقع بما يحفل به من عظات •• اذا وجـد الرأى العـام الغالب الواعى •• استعلى الناس على النكسة وواصلوا السـير الى أكرم مصير ••

ويلجـأ قارون الى أسـلوب آخر من أسـاليب التضـليل لصرف الناس عن الحق فيستأجر عاهرة من النساء لتـدعى على

موسى الفاحشة •• لعل فى الصاق التهمة بالقيادة ما يذهب ثقة الجماهير به بعد أن عجزت الحرب النفسية الدعائية عن صرفهم عنه •• ولكن الله عز وجل يمسك لسان المرأة •• وتنطق بالحق رغما عن أنفه •

وفى الوقت الذى يتجمع الناس من بنى اسرائيل ليشهدوا مصرع موسى بلسان امرأة داعرة •• يسمعون كلمة الحق على الملأ •• فتنكشف بذلك خيوط المؤامرة الدنيئة التى « تواطأ » الأعداء على حبكها لاطفاء نور الله •

وهكذا • يشرع الباطل كل أسلحته من : الحرب النفسية الدعائية •• متخذا من بعض مظاهر فرضتها الظروف وسيلة الى الاغراء •• وتلفيق التهم للابرياء لطمس معالم الحق واطفاء أنواره ليعم الظلام •• ويسرق اللصوص ••

وبعد أن تتم الرواية فصولا •• فيؤدى المثقفون دورهم فى مواجهة أساليب الاعداء النفسية وكشف عوارها •• ويثبت المؤمنون فى مواقعهم بعيدا عن تأثير الشائعات •• راجعين الى الله عز وجل ويجىء نصر الله والفتح .. ويهزم العدو وينفض السطحيون من حوله « فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله » بل ان ما حصل عليه من بعض المواقع لا يرجع الى كمال فيه بقدر ما يرد الى نقص فى عدة المؤمنين أنفسهم •• ولذلك لا تسمى ما حدث له انتصارا •• « وما كان منتصرا » •

انما يكون فقط منتصرا اذا سلمنا نحن له بهذا الانتصار واستسلمنا .. وذلك أمر لن يكون مادام فينا عقل يفهم مكر اليهود وغدرهم .. وقلب مؤمن بالله يستمد منه العون والتأييد « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز » .

ونعود لنتابع السيد المسيح فى تبيانه لطرائق اليهود فى تزييف الحقائق وتسمية المفاهيم بغير أسمائها :

« ولعمر الله لقد كان فى زمن ايليا خليل الله ونبيه اثنا عشر جبلا يقطنها سبعة عشر ألف فريسى . ولم يكن بين هذا العدد الغفير منبوذ واحد . بل كانوا جميعا مختارى الله .

أما الآن وفى اسرائيل نيف ومائة الف فريسى فعسى ان شاء الله أن يوجد بين كل ألف مختار واحد » .

وتظهر هذه المقارنة مدى الفرق الهائل بين الأمس واليوم .. ورغم أنهم يؤمنون بما يقول الا أنهم يقولون له فى خبث ظاهر :

« أنحن اذا جميعا منبوذون .. وتجعل ديانتنا منبوذة » .

والحق أنه لم يتعرض لديانتهم أصلا بل كانت محل اجلاله وتقديره حيث بين لهم أنه امتداد لموسى عليه السلام .. وأشاد بالفريسيين القدامى . ولم ينل الا من الذين سودوا صفحة هذا الماضى ..

واذا كان الأمر كذلك فما سر هذا الخلط اذن .

وحتى يجيب على هذا السؤال ينبغى أن نسائل الواقع الماثل:

لقد اعتدت اسرائيل على الحدود السورية منذ سنوات قليلة
صدر مجلس الأمن قرارا بادانتها •• وانطلقت الكلاب المسعورة
اسرائيل وغيرها تشتم وتتوعد • يرضى القتيل وليس يرضى
ماتل •

وتجمع وسائل الاعلام هناك لتصور اسرائيل كحمل وديع
ع فريسة لذئب غادر •

وسر هذه الحملة معروف •• انه التمهيد لاعتداء جديد وخلق
لأسباب التى تبرر هذا الاعتداء •

وفى سبيل ذلك يشتمون ويزيفون الحقائق محرفين الكلم
ن مواضعه :

ونعود مرة أخرى الى هذا الموقف الذى يتهمونه فيه بالاعتداء
لى الدين مع أن شيئا من ذلك لم يكن • لقد أخرجوه •• وألبوا
ليه الجماهير •• فلما لم يفلحوا • يفتاتون عليه ويحملون ألفاظه
ن التهم والمعانى مالم يخطر على بال •

وكان ذلك مؤامرة للاعتداء على حياته •

وفى هذه اللحظات يرسلها السيد المسيح كلمات صادقة
تعكس أبعاد المؤامرة وتكشف الخبايا :

« انى لا أحسب ديانة الفريسيين الحقيقيين منبوذة •• بل
ممدوحة • وانى مستعد أن أموت من أجلها • ولكن تعالوا ننظر
هل أنتم فريسيون •

لو كنتم فريسيين لتركتم كل شغل ولاحظتم هذا لأن الفريسى • انما يطلب الله وحده » (١)

والحق أنهم تركوا كل شغل •• بل تركوا كل فضيلة وقرروا شيئاً واحداً : هو قتل المسيح أو تلك غاية القصد والمراد من رب العباد • ولو حاولوا أن يستروا رغبتهم هذه بأقنعة مزيفة • وحين سقطت كل الاقنعة وظهر المخبوء للعيان •• فليكشف المسيح للناس عنه حتى يستعد اتباعه لمواجهة حرب ابادة وشيكة الوقوع فخاطب الجموع قائلا :

« على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوه لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوا • ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون •• فانهم يحملون احمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصابعهم • وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس •

فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم • ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع •• والتحيات فى الأسواق وأن يدعوهم الناس : سيدى •• سيدى » (٢) •

---

(١) برنابا : ١٤٥
(٢) متي : ص ٢٣

دنيا آفتها الرياء :

وحتى فى الصلاة •• فى هذه اللحظات التى « يرفع » الإنسان يده فيرفع معها أفكاره ومشاعره عن رذائل الأرض •• حتى فى هذه اللحظات لا ينسى الفريسى أن تدفعه أنانيته فيمن على الله بصلاته معرضا بغيره : « انسانان صعدا الى الهيكل ليصليا • واحد فريسى والآخر عشار ••

أما الفريسى فوقف يصلى فى نفسه هكذا :

اللهم أنا أشكرك • انى لست مثل باقى النــاس الخاطفين الظالمين الزناة • ولا مثــل هذا العشـــار •• أصوم مــرتين فى الأسبوع وأعشر كل ما أقتنيه •

وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفــع عينيه نحــو السماء • بل قرع صدره قائلا :

اللهم ارحمنى أنا الخاطىء •

أقول لكم : ان هذا نزل الى بيته مبررا دون ذاك • لأن كل من يرفع نفسه يتضع • ومن يضع نفسه يرتفع » (١) •

ثم يواصل حملته لادانتهم بالعدوان فيقول لهم :

« ويل لكم أيها القادة العميان القائلون : من حلف بالهيكل فليس بشىء •• ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم •

---

(١) لوقا : ص ٨

أيها الجهال العميان : أيما أعظم : الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب » ..

.. ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة ..

هكذا أنتم أيضا ..

من خارج تظهرون للناس أبرارا ولكنكم من داخل مشحونون رياء دائما ..

... يا أورشليم .. يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها .. كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها .. ولم تريدوا . » (١) .

« وما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه »

ولم يكن فيهم مؤمن من آل فرعون ليقول لهم :

« أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله » .

ويا ليت اليهود قابلوا المسيح كالفراش : يسرح فوق الزهور اليانعة يمتص منها رحيق الحياة ثم يقدمها للناس شرابا طهورا .

لكنهم انقضوا عليها كالجراد .. كالدود .. فتركوا الفضائل من خلفهم أشلاء ممزقة .

---

(١) متي : ص ٢٣

ولقد كانوا مستعدين للتحالف مع الشيطان فى سبيل النيل منه والقضاء عليه » .

ولا يفوتنا أن نذكر فى هذا المقام كيف أن السلطات الرومانية ممثلة فى « بيلاطس » النبطى الحاكم المحلى كانت زاهدة فى توقيع أية عقوبة على المسيح نفسه بشهادة الأناجيل .

وأن اليهود ورؤساءهم كانوا هم أسباب ما كان .

حتى أن بيلاطس « أراد أن يطلقه لهم فى العيد فأبوا له الا القتل على الصليب » (١)

« وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما .

وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » (٢)

---

(١) محمد فتحى عثمان : مع المسيح فى الاناجيل الاربعة

(٢) سورة النساء : ١٥٧ ـ ١٥٩

نور من السماء

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »

« وها هو ذا الحائط الكبير ينشق ونورك الساطع يا الهى •• نورك الشبيه بضحكة خاطفة ومجلجلة •• يندفق من الحائط فجأة ويغمر الدنيا •

ان قلب الليل نفسه قد اخترقه نورك العظيم •• وأنت بسيف نارك الباتر تمزق حجب الشكوك •• وتقطع عقد المخاوف والأوهام ••

أسرع •• أسرع الى أيها الرائع المروع فى بياضك الناصع الذى لم يشبه أى دنس •

•• والموت تجاه نورك ينهار ويحتضر فى تفجر يملأ دويه قلب العالم ••

الا أن هذا النور لهو انتصار الفرح •• فرح الانسان بخلاصه من ذله •• وخلاصه من رجسه • وخلاصه من نفسه • وعودته طاهرا نقيا اليك » (١)

وجاء محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى النور •• ويعيدهم الى ربوة الحق بعد أن سارت بهم دوامة الشهوات بعيدا بعيدا ••

فماذا وجد ••

أناسا يعيشون بين جدران من ذواتهم : لا ماضى لهم يستمدون منه العبرة •• ولا مستقبل يتطلعون اليه آملين ••

لقد تاهوا فى بيداء الحياة •• تماما كحبة القمح فى صحراء جرداء : لا ماء يرويها فتحيا •• ولا زارع يغرسها فتنمو ••

وبينهم يعيش أهل الكتاب من اليهود والنصارى ينتظرون ذلك الضياء الوافد كما بشرت به كتبهم •

ولم يكن الطريق امام الرسول عليه السلام سهلا :

فالمشركون من قريش يمثلون قوة باطشة جاهلة والتفاهم معها أمر له نتائجه ••

واليهود كأجداد لهم من قبل يعيشون فى قوالب من النصوص لاروح فيها ولا حياة ••

---

(١) « طاغور »

وقد كانت التوراة والإنجيل بين أيديهم داعياً إلى اثارة كثير من المشاكل والأسئلة كان لها أثرها فى خلق جو ملبد بالغيوم • أعقبه صراع طويل توج أخيرا بانتصار الحق :

ولكن لا بأس : ولابد من كفاح مرير وتضحيات بالنفس والمال •

كما يقول طاغور أيضا :

« حيث الطرق ممهدة منبسطة أفقد أنا غايتى ••

وحيث البحار مصطخبة والسماء ملبدة •• أجد أنا طريقى وأملى ••

كل ماهو سهل واضح يكربنى •• وكل ما هو جائش متعرج مكفهر غامض يفتننى ويأسرنى ••

لابد لى من جلبة أقهرها كى أعرف الهدوء •

لابد لى من فوضى أطوعها كى أرى النور •• وهذا النور هو الصفاء :

فالكفاح اذن هو طريق الصفاء ••

والصفاء الذى ينشده الانسان من كفاحه هو غايته »

الدور المكى

فى بدء الدعوة الاسلامية أشاد الرسول صلى الله عليه وسلم بأهل الكتاب .. وبالتوراة والانجيل .. وذكر موسى وعيسى وكل الأنبياء من قبله بالتقدير والتكريم مبينا أنه ما جاء الا امتدادا لهم واكمالا لما شيدوه من بناء الحضارة الانسانية فى اطار الاسلام .. الأمر الذى يجعل من أهل الكتاب أول المستجيبين له.

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب » (١) .

فما جاء به الرسول قد « كبر على المشركين » وحدهم دون أهل الكتاب لأن فيه نقضا لكل الأسس المزيفة التى يبنون عليها حياتهم المادية .. وهذا أمر يتفق عليه كل من آمن بكتاب أنزل عليه . وفوق هذا فقد تنزلت الآيات المكية تترى مشيرة الى بعض فضائل بنى اسرائيل والتى تجعل منهم جندا للدعوة الجديدة :

« ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين » (٢) .

---

(١) سورة الشورى : ١٣ .

(٢) سورة الجاثية : ١٦

« ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون » (١) .
وكأنما يلفت أنظارهم الى وجود عنصر العدل فيهم . مما ييسر السبيل لافحام المعاندين من المشركين الذين اتخذوا من الهوى حكما وعطلوا معالم الحق .

ثم هو يذكرهم بحقائق تتعلق بماضيهم وهم على يقين منها :

« وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى اسرائيل ألا تتخذوا من دونى وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا .

وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا .

فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا .

ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا » (٢) .

---

(١) سورة الاعراف : ١٥٩
(٢) سورة الاسراء : ٢ ـ ٨ .

فهو يحذرهم من مغبة الوقوع فيما تورط فيه المشركون حيث اتخذوا من دون الله وكيلا .

ويحكى لهم طرفا من الماضى والمستقبل فى محاولة لاقناعهم بأن يكونوا معه فى دعوته .. وأن احسانهم فى الواقع احسان لأنفسهم لا لغيرهم .. فان الاهتداء الى الحق والعمل بوحيه أمر يعود بالدرجة الأولى الى المؤمن نفسه . وبالتالى فان ضرر السيئة يرجع الى من كان — وراءها وداعيا اليها — ثم ان القرآن والتوراة معا هدى ونور .. وفرقان يكشف معالم الحق .فلماذا لا يلتقى الجميع حول هذا المعنى الكبير .

« ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون » (١) .

وأين هم من تلك النعم التى غمرهم الله بها .. أليست داعيا للايمان اليوم بمن أنعم بها .

« وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين » (٢) .

---

(١) سورة الانبياء : ٤٨ ـ ٥٠

(٢) سورة يونس : ٩٠ .

« ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم . ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون » (١) .

ومن تمام الاعداد والتربية أن يبين لهم فى ثنايا هذه العظات نتائج الخلاف الذى وقع فيه أسلافهم بعد تبين الحق لهم حتى لا يعيد التاريخ نفسه وتتكرر المأساة .

وحيث جاء القرآن الكريم مصدقا للتوراة والانجيل من قبله فلا شك أن أهل الكتاب يفرحون به ويستجيبون له :

« والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك » (٢) .

ولماذا لا يفرحون بينما هم مقتنعون بصدقه ؟ .

« أفغير الله أبتغى حكما وهو الذى أنزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين » (٣)

بل ان تقدير أهل الكتاب ليصل الى مرتبة عليا حين يحتكم الرسول اليهم فيما يجادل فيه المشركون :

« ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ومن عنده علم الكتاب » (٤) .

---

(١) سورة يونس : ٩٣ .
(٢) سورة الرعد : ٣٦ .
(٣) سورة الانعام : ١١٤ .
(٤) سورة الرعد : ٤٣ .

ولا يحتاج المنصفون من اليهود والنصارى حينئذ الى اعمال فكر ليصلوا الى حقيقة هذا الرجل الذى يخاطبهم اليوم بحقائق يؤمن بها العقل والقلب معا :

فهو لا يدعو الى مجد سياسى أو زعامة دينية .. لكنه يبسط يده لكل الناس حتى يسيروا من ورائه فى نفس الطريق الذى سار عليه النبيون من قبله استهدافا الى نفس الغاية التى شدوا الرحال اليها .

وهاهو ذا يذكر كل الأنبياء بالتقدير والتكريم .

ادريس :

« واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا » (١)

نوح :

« يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم من من معك » (٢)

ابراهيم :

« ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم » (٣) .

---

(١) سورة مريم : ٥٦ ، ٥٧ .
(٢) سورة هود : ٤٨ .
(٣) سورة النحل : ١٢٠ - ١٢١

موسى :

« واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا » (١) .

اسماعيل :

« واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا » (٢) .

داود :

« وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب » (٣) .

سليمان :

« نعم العبد انه أواب » (٤) .

اسحاق :

« واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار » (٥) .

---

(١) سورة مريم : ٥١ .
(٢) سورة مريم : ٥٤ .
(٣) سورة ص : ٢٠ .
(٤) سورة ص : ٣٠ .
(٥) سورة ص : ٤٥ - ٤٨ .

ايوب :

« انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب » (١)

الياس ويونس :

«وان الياس لمن المرسلين»(٢) «وان يونس لمن المرسلين»(٣)

يوسف :

« انه من عبادنا المخلصين » .

« وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث » (٤) .

لوط :

« ولوطا آتيناه حكما وعلما ونجيناه من القرية التى كانت تعمل الخبائث انهم كانوا قوم سوء فاسقين . وأدخلناه فى رحمتنا انه من الصالحين » (٥) .

هارون :

« ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين » (٦) .

---

(١) سورة ص : ٤٤ ـ
(٢) سورة الصافات : ١٢١ .
(٣) سورة الصافات : ١٣٩ .
(٤) سورة يوسف : ٢١ .
(٥) سورة الانبياء : ٧٤ ـ ٧٥ .
(٦) سورة الانبياء : ٤٨ .

زكريا :

« ذكر رحمة ربك عبده زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا » (١) .

يحيى :

« فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين » (٢) .

عيسى :

« اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين » (٣)

« مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله الا موضع لبنة .. فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة .

« فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

ومع ذلك فقد ضرب الرسول عليه السلام داود مثلا للعامل الشريف المثالى لينسج المسلمون العاملون على منواله فقال :

« ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده . وان نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

---

(١) سورة مريم : ٢ ـ ٣ .
(٢) سورة آل عمران : ٣٩ .
(٣) سورة آل عمران : ٤٥ .

اذن .. فهو لا يدعو الى دين جديد لم تألفه الحياة من قبل.

لكنه يدعو الى الدين الحق .. الاسلام « ان الدين عند الله الاسلام » .

أولا يذكر اليهود اليوم ما قاله آباؤهم الأولون أبناء يعقوب :

« اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون » (١) .

وازاء هذا الموقف الصريح الواضح لرجل كمحمد عليه السلام .. ماذا فعل اليهود وهم يستمعون اليه فى تقديره للانبياء من قبله ..

موقف اليهود :

وقف اليهود أول الأمر منه موقف الحذر . وقد أبدوا بعض الارتياح وقالوا : نؤازره .. فربما كان معينا لنا على المشركين الذين سيطروا اقتصاديا على أرجاء الجزيرة العربية .. وأيضا .. ربما وجدوا فى دعوته فرصة يواجهون عندها المسيحيين الذين أخرجوهم من فلسطين .. أى أنهم ربطوا ارتياحهم به بمنفعتهم الشخصية .. وكان عامل الاقتصاد والثأر وراء هذا التأييد المصطنع ..

---

(١) سورة البقرة : ١٣٣

وهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة .

وكان من الحكمة أن يترضاهم كأهل كتاب .. فعقد معهم ميثاق عدم اعتداء .. بل معاهدة تجعل منهم جميعا قوة واحدة ضد كل عدوان خارجى على المدينة .

وبذلك يأمن المسلمون جانبهم على الأقل فلايحارب بعد ذلك فى جبهتين ..

وجاء فى نصوص المعاهدة :

« أنهم أمة واحدة من دون الناس وانه من تبعنا من اليهود فان له المعروف والأسوة غير مظلومين ولا نناصر عليهم .

وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .

وان يهود بنى عوف ومواليهم وأنفسهم أمة من المؤمنين :

لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم الا من ظلم وأثم . وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان المدينة جوفها حرم لأهل هذه الصحيفة » .

وكان استقبال بيت المقدس كقبلة للصلاة بداية كريمة تجمع القلوب على كلمة سواء .. ولفتة تلمس قلب اليهود وتشعرهم بالصلة القوية بين المسلمين واليهود ..

وكان فى معاملة المسلمين لهم داعيا للسلام بين الطرفين والتفاهم أيضا :

مرت جنازة يهودى والرسول جالس مع أصحابه •• فوقف لها • فقالوا له :

يارسول الله انها جنازة يهودى • فقال عليه السلام :

أوليست نفسا ؟

ونزلت الآيات فى هذه المرحلة تسجل النزعة الى التعايش السلمى بين المسلمين واليهود وتكشف النقاب عن المشابه الكثيرة بين الطرفين بحيث يمكن التلاقى على الخير والتعاون على البر والتقوى ضد الوثنية الباغية •• وهى العدو المشترك للطرفين ••

فطعام اليهود — وهم أهل كتاب — حلال •• والزواج منهم أيضا حلال :

« اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم •

والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين » (١) •

ثم هو يطلب من أهل الكتاب — يهود ونصارى — أن يلتقوا جميعا على حقيقة التوحيد المقررة فى كل كتاب :

---

(١) سورة المائدة : ٥ •

« قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (١) .

والاجتماع على كلمة سواء أمر ممكن فى الوقت الذى يوجد بين أهل الكتاب أمة مؤمنة واعية .. تعرف الحق .. وتقدر على الموازنة والاختيار .. وقد اختارت فعلا نفس الطريق الذى يدعون اليه الآن بلسان محمد عليه الصلاة والسلام .. فالفكرة موجودة فعلا ..

وما محمد الا رسول يذكر فقط بحقائق فطرية لا تغيب عن أذهان الراغبين فى التعاون على البر والتقوى :

« من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين .

وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين » (٢) .

« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون . واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين .

أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون « (٣) .

---

(١) سورة آل عمران : ٦٤
(٢) سورة آل عمران : ١١٣ ــ ١١٥
(٣) سورة القصص : ٥٢ ــ ٥٤ .

ثم هو يذكرهم بنعم الله عليهم مبينا موقف آبائهم منها وكيف كان كفرهم بهذه النعم سبيلا الى استئصال شأفتهم :

« يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون . وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى . فاتقون » (١) .

« واذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم • واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون » (٢) .

« واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون » (٣) .

« فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون » (٤) .

وقد ظهر جليا فى آيات القرآن الكريم مبادىء وعقائد تتفق عليها كل الكتب المنزلة •• الأمر الذى ينمى فرص التفاهم بين الطرفين من أجل تعايش أفضل •

---

(١) سورة البقرة : ٤٠ ـ ٤١ .
(٢) سورة البقرة : ٤٩ ـ ٥٠ .
(٣) سورة البقرة : ٥٥ ـ ٥٦
(٤) سورة البقرة : ٥٩ .

ولنشر الآن إلى بعض نقط التوافق بين حقائق القرآن .. وما تشير إليه الكتب التى ما تزال فى أيدى أهل الكتاب ويعترفون بها .. كما سجلها بعض العلماء :

« جاء فى سفر » التثنية (إصحاح ٥ ــ عدد ٣٦) :

« لتعلم أن الرب هو الاله ليس آخر سواه » .

وذلك كقول الله تعالى :

« فاعلم أنه لا اله الا الله » .

وجاء فى هذا السفر أيضا :

« ردد فى قلبك أن الرب هو الاله فى السماء من فوق . وفى الأرض من أسفل »

وهذا كقول الله عز وجل :

« وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم العليم . وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما » .

وجاء فيه أيضا :

« اسمع يا اسرائيل : الرب الهنا رب واحد » .

واسرائيل هو يعقوب الذى جمع أولاده وهو يحتضر ليستوثق من بقائهم على التوحيد :

« أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ماتعبدون من بعدى • قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا » (١) .

وجاء فى سفر « أشعياء » اصحاح ٤٥ :

« أنا الأول وأنا الآخر ولا اله غيرى » •

وهو كقول الله عز وجل :

« سبح لله ما فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم • له ملك السموات والأرض يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير •

هو الأول والآخر والظاهر والباطن » (٢) .

وجاء فيه أيضا :

« ولأنى أنا الله وليس لى شبيه » •

وذلك كقول الله فى كتابه :

« ليس كمثله شىء » .

« فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا » ••فليستمعوا مرة أخرى الى قوله عز وجل :

---

(١) سورة البقرة : ١٣٣ •
(٢) سورة الحديد : ١ ـ ٣ •

« تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم :

أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون » (١)

وقد وصل حسن الظن باليهود حداً جعلهم القرآن فيه حكما بين محمد عليه السلام وبين الوثنيين من عباد الأصنام ..
« أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بنى اسرائيل » (٢) .

لكن اليهود لم يكونوا أبدا عند حسن الظن بهم :
فقد وجدوا العرب يلتفون بالوافد الجديد بصورة لم تخطر على بال .

وبدأت الوساوس تتضخم فى أنفسهم ازاء محمد عليه السلام .. وراجعوا حساب الربح والخسارة فاستقر رأيهم على أن يناصروا المشركين ضد محمد .. فاقتسامهم السلطان مع المشركين خير فى نظرهم من أن يتفرد بها المسلمون بقيادة محمد .

وبدأت مؤامراتهم تتخذ صورة المؤامرات الخبيثة .. بجملة من الأسئلة التى لا تستهدف الحق بقدر ما تهدف الى اضعاف شخصية القائد لينفض من حوله الجنود .

وسوف نتابع الآن بعض مواقفهم كما صورتها الآيات الكريمة لنخرج منها بصورة أوضح لنفسياتهم الحاقدة :

---

(١) سورة آل عمران : ٦٤ .
(١) سورة الشعراء : ١٩٧ .

وإذا كان الضعيف — فى عراكه مع القوى — لا يكون صريحا واضحا لكنه يراوغ كالثعلب ويتلون كالحرباء • فكذلك كان بنو اسرائيل :

لقد اتخذ عداؤهم للدين الجديد سبيل التشكيك فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم • فبذلوا أقصى ما يمكن من جهد لقطع ما أمر الله به أن يوصل •• وتفننوا فى صياغة الأسئلة ليا بألسنتهم وطعنا فى الدين •• لينفض السامر ويصبح المسلمون بعد ذلك كالسوائم عرضا على غير طريق •

فقالوا : يامسلمون : كيف يقع النسخ هذا .. يأمركم محمد اليوم بشيء ثم ينسخه غدا •• وكيف ينسجم هذا مع دعواه الرسالة وأنه يردد صوت السماء •

لكن الله عز وجل يرد الحق الى نصابه فيفضح اليهود وينصح المسلمين :

« ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » •

ذلك بأن الرسالة لكى تكون خاتمة مساوقة للتطور الانسانى لابد لها من أمرين :

أولهما : مبادىء أصيلة ثابتة تشدها الى الأديان السابقة استهدافا لربط الأزل بالأبد •

وثانيهما : آيات بينات يتجدد نزولها على مر السنين مع الحياة المتجددة النامية •• سيرا بالبشرية الى مستقبل كريم •

فهل مع هذا يعد النسخ عيبا من عيوب التشريع حتى يتخذه اليهود ذريعة لتشكيك المسلمين فى نبوة محمد عليه السلام •

اذا محاسنى اللاتى أدل بها
كانت عيوبى فقل لى كيف أعتذر

وسواء أجهل أحبار اليهود هذا المعنى أم تجاهلوه فان الواقع التاريخى يلزمهم كلمة الحق :

جاء فى التوراة أن الله قال لنوح عليه السلام :

« انى جعلت كل دابة مأكلا لك ولذريتك وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب •• ما خلا الدم فلا تأكلوه » •

وأباح الله تعالى لآدم عليه السلام أن يزوج الأخت من الأخ •• ثم حرم كل هذا على بنى اسرائيل •

واذن فقد وقع النسخ فى ملتكم •• فهو جائز •• فأنتم كاذبون عندما تستنكرونه اليوم •

وأنت أيها المسلم المخدوع بظاهر من القول •• كيف تشك • وأين ايمانك •• أين عهدك مع مولاك حين خان اليهود ذلك العهد :

« ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير . ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض » .

ومن كان مثله قادرا .. مالكا .. فهو وحده يغير وينسخ .. اذا اقتضت الحكمة هذا النسخ .. وهذا التغيير .

وأنتم يا جماعة المسلمين :

هذا هو فصل الخطاب فى القضية .. أتريدونه . « أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل » .

لقد سألوه فقالوا : « أرنا الله جهرة .. » فانحرفوا عن سواء الصراط .. وجرفهم التيار بعيدا وبقى السبيل خاليا ..

وينظر اليوم أحفادهم وعلى حين غفلة اليكم : فاذا صوت يعلو .. وراية ترتفع ..

ماذا حدث .

السابقون الأولون من الأنصار والمهاجرين يحملون تبعات الرسالة فى عزم مكين بعد أن تخلى عنها أهل الكتاب من اليهود والنصارى .. وهنا تتقد جذوة الحقد فى صدورهم و « ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق » .وهنا نعثر على مفتاح القضية .. ويتكشف سر حملة التضليل اليهودية على دولة الاسلام الناشئة :

فهذه الأسئلة والشبهات •• انما هى محاولات يا ئسة لوقف الزحف بفتح ميدان جديد للحرب الباردة •• لكسب الوقت الى أن تلملم الفلول الهاربة قواها المبعثرة •• فى محاولة لتبديل الطاقة الاسلامية فى مسارب جدلية فارغة لا تغنى عن الحق شيئا •

وانها لحملة — لو نجحت — لا شك ستعطل الزحف • وستأخذ من الوقت والجهد ما لو توفر لسار بالمسلمين خطوات الى الأمام •• وهى سياسة ما كرة يغذيها شعور المهزوم بأنه : من العار عليه — وقد هزم — أن يترك الميدان لعدوه خاليا يسرح فيه كما يشاء •

وحيث ظهرت هذه النية •• وتكشف الضمير الدنس يحرك الشخوص الهزيلة لتجذبكم عن سواء الصراط اذا كان الأمر كذلك :

« فاعفوا واصفحوا » .. ولا بد من هذا العفو القادر حتى تفوتوا على اليهود ذلك الغرض اللئيم •• واتجهوا بكل طاقاتكم اتجاها رأسيا سماويا « وأقيموا الصلاة » •

ثم ليأخذ هذا المدد الروحى السماوى اتجاهه الانسانى الاجتماعى « وآتوا الزكاة »

وعلى هاتين الدعامتين : صلتكم بالله •• وصلتكم بالناس سيروا واثقين فى ضوء رقابة عليا « ان الله بما تعملون بصير » •

واذا كان القرآن الكريم يجعل من صلة الانسان بربه ومجتمعه

أساس التفاضل والتفوق •• فان اليهود يتناسون ذلك ويفرضون أنفسهم ورثة الجنة مع النصارى من دون المسلمين « وقالوا : لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى • تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » ويثبت القرآن الكريم أقدام المسلمين على سـواء الصراط •• ويناشـدهم مواصلة السـير الى أكرم مصير :

« بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

واذا كان بعض الناس يرى من حقه أن يقول أى شىء وأن يتمنى كل شىء •• فان من حق دعاة الحق فى ذات الوقت أن يردوا عن هذا الحق أعداءه •• وأن يكشفوا نياتهم الخبيثة لترى تحت الشمس •• ليعلم هؤلاء الناس أن حرية التعبير يجب أن يـكون صنوها سلامة هذا التعبير •• وأن الأمانى العذاب يجب أن يحلو فى سبيلها العذاب .. وأن يساوقها رصيدها من العمـل فى بنك الحياة •

فأين من دعـوى اليهود تلك السـلامة •• وأين منها ذلك العمل •

من السهل عليك أن تواجهنى بدعواك •• ولكن الخطوة التالية أن تقذف بالدليل يشد أعصابها •• وينتظم أعضاءها ليمتدلها فى واقع الحياة ظل •

ومنطق اليهود هذا إنما هو دعوى أبناء الذوات الذين تهبط بهم أعمالهم الى درك من الذل سحيق •• ثم يحاولون الصعود الى أعلى •• فلا يجدون الا ذكرى أيام سلفت يجترونها ••

وباسم العظام النخرة فى ظلام القبور يحاولون فرض وجودهم على الحياة ••

ونحن باسم الاسلام نلزمهم كلمة الحق :

« قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين » فى تفردكم بالحق دون سواكم :

لاتقل عن عمل : ذا ناقص .

جىء بأوفى ثم قل : ذاأكمل

ان يغب عن يمن سار قمر

فحرام أن يلام المشعل •

لاتقولوا « نحن أبناء الله وأحباؤه » لأنا نقول لكم « فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق » .

لاتقولوا : نحن أولى الناس بابراهيم وأبناؤه وأحباؤه . لأن الله تعالى يقول :

« ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كانحنيفا مسلما وما كان من المشركين »

وعلى الذين يدعون احتكار مواريثه أن يترسموا خطاه الى الله :

« ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا •• » فهل اتبعتموه اذ تمسحتم به •• كلا ••

لقد رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل حتى يكون منارا للتوحيد •• بينما أنتم اليوم • بالدس • بالمؤامرات مع الوثنية تحاولون نسف هذا الرمز •• وتحويل الحرم الآمن الى بحيرة تسيل بدماء الأبرياء ••

ولقد وقف ابراهيم امام ربه عبداً ضارعا خاشعا يعلم الحياة معنى العبودية والخضوع لله عز وجل فجرت على لسانه الذاكر هذه الكلمات الخالدة :

« ربنا تقبل منا »

« انك أنت السميع العليم »

« انك أنت التواب الرحيم »

« انك أنت العزيز الحكيم »

« رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء »

« ربنا انك تعلم ما نخفى وما نعلن وما يخفى على الله من شيء فى الأرض ولا فى السماء » .

واذا كان خليل الله يسبح مولاه ويقدسه الى هذا الحد ..
فماذا قال الله عنه كفاء ما قدم اليه ..

« وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين » .

« ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين

شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم » .

« ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين » .

« ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين »

فماذا قلتم عن الله أيها « الشعب المختار » ..

قلتم « يد الله مغلولة » .. غلت أيديكم .

وقلتم : « عزير بن الله »

« سمعنا وعصينا »

« اسمع غير مسمع »

« ان الله فقير ونحن أغنياء »

وجاء حكم الله عادلا :

« كونوا قردة خاسئين »

«أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير »

« جعل منهم القردة والخنازير »

« فهل تعدون ذلك توحيدا على أساسه تحتكرون أنتم الجنة

« ألا ما أبعد المسافة بين توحيد الأبناء وانه لبعد يوازيه مابينهما من زمان »

وليعلم النبى والمسلمون من ورائه انه أمام حفنة باعت نفسها للشيطان وسيطر عليها الهوى .. فليفتحوا أعينهم جيدا ليتبينوا خطوط المؤامرة وأبعادها .

« واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك فان تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون »

هذا هو الطريق الذى رسمه ابراهيم .. وقد رغبتم عنه طائعين :

« ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه أسلم قال اسلمت لرب العالمين . ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى : ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون . اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين » .

مرة أخرى .. هاتوا برهانكم :

قد تدعون كثرة الأنبياء فيكم .. فأنتم أقرب الى الله وأنتم « الشعب المختار » . وهذا الاختيار تزكيه من تاريخنا بقايا ..

ونحن نقول لكم سلفا : وأيضا تؤيده من الحقد شظايا .

وانصافا للحق لقد صدق اليهود هـذه المرة .. لـكن هذه الكثرة لهم أم عليهم ..

اننا قد نستدعى للمريض طبيبا .. وثانيا .. ثم نعززهمابثالث ويعجزهم المرض جميعا عن الشفاء . فالعلة اذن ضاربة الجذور ، والجرح غائر و « الشعب المختار » عصى على الشفاء واقد صدق العقاد حين قال :

« المؤرخ اليهودى ـ هارون ـ لم يكذب التاريخ حين قال : ان عيسى عليه السلام نشأ من اسرائيل . وبعث فى اسرائيـل . ولكنه ينكر التاريخ فى صميمه ولا يصيب مرماه من دعواه اذا ساق هذا الخبر مساق الفخر لبنى قومه الاقدمين . أو مسـاق الزلفى الى أمم العالم بحقوق اسرائيل عليها .

اذ ليس من الفخر لاسرائيل أن تلحق فيها بعثة عيسى بعثات المرسلين من قبله الى ذلك الشعب الصغير .

فان افتقار الشعب الصغير الى الدعوات المتلاحقة علامة بينة على الضلالة الدائمة والعـوج الدائم .. والحاجة الدائمـة الى التقويم والتذكير »

وهنا نلمس العقدة وراء هذا الادعاء الزائف .. ونلمح بعض نتائجه المرجوة ..

أليس من حق « الشعب المختار » أن تكون له دولة هناك فى خيبر وقريظة .

وهنا — وبكل طاقة السمع فينا — نصغى الى قوله عز وجل.

« تلك امانيهم »

انها « تلك » اشارة البعيد الى آمال تراودهم بعيدة .

انها بداية المؤامرة رغبة فى السلطة ليتحول العالم الى مزرعة ليهود العالم .

ولو كانت اليهودية كدين هى التى تواجهنا بمثل هذا الادعاء لقلنا : أحلام اليقظة تراود خيال الكسالى والعاجزين ..

لكن القناع يسقط والطلاء الكاذب تزروه رياح باردة ... ويظهر وجه الصهيونية القبيح أمس .. واليوم محاولا أن يخط فوق أشلاء الابرياء طريقا الى وطنه .. ليبنى دولة فى فلسطين كما حاول من قبل فى خيبر وبنى قريظة .

ومرة أخرى — وبكل طاقة السمع فينا — نصغى الى قوله عز وجل : « تلك أمانيهم » .. تنتحر من الأسلاف الى الأخلاف .. « يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » « أتواصوا به بل هم قوم طاغون » .

كلهم أروغ من ثعلب .. ما أشبه الليلة بالبارحة .

انها الصهيونية تتجشأ أحقادها .. وأين السبيل .

انما السبيل كما رسمه الاسلام على أرض المدينة ابان الصراع بين المسلمين وبينهم .. الايمان والجهاد :

وليس كالايمان طاقة تعمر قلب الإنسان ..

وليس كالجهاد طريق إلى حرية الأوطان .

عندما وقعت المسيحية فريسة لأهواء الحكام من الرومان .. لابستها بتأثير الوثنية الغازية — زوائد غريبة عليها .. خرجت بها عن التوحيد كما بشر به عيسى عليه السلام .

وتحولت العقيدة البسيطة الى خرافة كبيرة فى وعى كثير من الناس .. فلم يعد غريبا أن يكون حاصل جمع الثلاثة واحدا . وأن يكون المسيح بن الله وفى نفس الوقت إلها ..

وقد سار اليهود — بدافع الحقد — فى اتجاه مضاد وقالوا على المسيح وأمه بهتانا عظيما .

غلا الأولون فى الحب فألهوا المسيح .. واشتط الآخرون فى البغض فرموه وأمه فى أعز ما يملك انسان .

وعلى مفترق الطرق يقف القرآن الكريم بالقسطاس المستقيم يصحح به تصور الناس من هؤلاء وأولئك .

يجذب هؤلاء من أقصى اليمين .. وهؤلاء من أقصى اليسار ليكون الجميع على سواء السبيل :

« قل يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم غير الحق ولاتتبعوا أهــواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضــلوا عن سواء السبيل » (١)

أخطأ الذين ادعوه الها :

« ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل » وأعراض بشريته شاخصة للناظرين •• وأخطأ الذين رموه فى أعز ما يملك •• « وامه صديقة •• كانا يأكلان الطعام »

ومن شأن هذه الحقائق الدامغة أن تلفت أنظار أهل الكتاب الى وضعهم •• وعزل العواطف والأهواء أن تقودهم الى مصير الغابرين من أجدادهم •• فلا يعرفوا الحق بالرجال •• بل يعرفوا الأجداد بالحق .

ومفروض على الانسان الحر أن يسائل نفسه •• فيعيد النظر فى حساب الربح والخسارة فى مجال الأخلاق . تماما كما يفعل ذلك فى دنيا التجارة والاقتصاد •

ثم ان القرآن الكريم ينبه الى خطر السعى وراء الهوى «ولا تتبعوا أهواء قوم »

وبقية من الذكاء تمنع الانسان الحر أن يقادمعصوب العين الى مستقبل مظلم مجهول •• وهذه صورة كابية لمجتمع اجدادهم من

---

(٢) سورة المائدة : ٧٧ •

شأنها ان تلمس قلوبكم حتى لا تتكرر المأساة ويعيد التاريخ نفسه •

« لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون • كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » •

مجتمع غاب عنه « الرأى العام » كحارس على الأخلاق والافكار •• فتحول الى غابة تحكمها أحقاد وأطماع •

وكان مجرد تصور هذا المجتمع المنحل كافيا للفرار منه •• بالبعد عن كل طريق يؤدى اليه •• ولكن ما الحيلة وأنت تخاطب عقولا لا تفهم •• ولا تواجه الا أحقادا تؤمن بالمنفعة مذهبا في الحياة •

والا •• فلحساب من هذا التحالف بين أهل الكتاب وعباد الوثن أعداء الرسل • اذ « ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا » •• ضد من • ضد محمد صلى الله عليه وسلم••محطم الأصنام •• وقاهر الشرك •• وصاحب كتاب أنزل من بعدموسى وعيسى يصدقهما •

« لبئس ما قدمت لهم أنفسهم » وهنا بيت القصيد :

انها النفس والأهواء تجمعهم •• أى انهم يتلقون الأوامر من جهة غير شرعية هى : النفس الامارة بالسوء •• وكان جزاؤهم « أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون » •

والا فلو كان هناك عقل واع •• ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون » •
وهذا « الفسوق » عن أمر الله عز وجل كان هو القاسم المشترك بين التكتلات الباغية أمس واليوم :

لقد ضل بعض أهل الكتاب فكفروا •• ثم توغلوا فى الضلال فحملوا غيرهم على الكفر •

واليوم :

تصل اليهودية فى زحمة الأهواء •• لتصبح هى صهيونية •
وهاهم أولاء يحاولون اضلالنا باقصائنا عن القاعدة •• عن أسباب الوحدة وروافدها قائلين : فينيقية •• أشورية •• فرعونية •• « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا » وهذا هو الهدف الأول والأخير ••

وامتدادا لحملة التشكيك فى القيادة يوعزون بهذه الأسئلة :

« ويسألونك عن الروح » •

« ويسألونك عن ذى القرنين » •

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها » •

وانهم ليستبعدون أن ينزل الله الكتاب على بشر مستغلين سذاجة المشركين مع أن الواقع التاريخى يكذب هذا الاستبعاد •

« وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا : ما أنزل الله علـى بشر من شيء •• قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفـون كثيرا وعلمتم ما لم تعلمـوا أنتم ولا آباؤكم •• قـل الله ثم ذرهم فى خـوضهم يلعبون » •

وفى أعقاب هذا التواطؤ المكشوف مع الوثنية الباغية يبين لهم أن كل محاولة لإخفاء الحق مصيرها الفشل لأن القرآن نور يكشف المستور •• ولم يبق إلا العمل فى النور :

« يا أهل الكتاب : قد جاءكم رسولنا يبين لـكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » (١) •

واذ لم يستطيعوا صرف الناس عن الرسول صلى الله عليـه وسلم •• وبقيت صورته فى أذهان المسلمين صافية رائقة رغم حملة من التشكيك بذلوا فيها كل ما يملكون من مكر وخديعة فليجربوا تفتيت الصف المترابط •• وخلق العداوة بين الاخـوة المتحابين ••

وترجمة لهذه الرغبة يمر بعض اليهود على الأوس والخزرج فيغيظه ما يلقاه من تآلفهم بعد فرقة وشتات •• فيذكرهم بما كان

(١) سورة المائدة : ١٥ ـ ١٦ •

بينهم فى الجاهلية •• وأوشكت الفتنة أن تطل برأسها •• ولكن الآيات الكريمة تهبط فتربط عـلى قلوبهم وترد كيد اليهود الى نحورهم :

« يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين • وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هـدى الى صراط مستقيم •

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون • واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون » •

ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم» (١)

وعلى المسلمين أن يحذروا مغبة الخلاف الذى اشتهر به اليهود فاستحقوا به العذاب العظيم •

وليضعوا أصابعهم على بيت الداء الذى ظهر بوضوح ممثلا فى مؤامرات اليهود ضدهم •• وأمامهم الدليل :

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٠ ـ ١٠٥ .

يقول المؤرخون ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يلحق بعير أبى سفيان قبيل غزوة بدر لأن أبا سفيان غير طريقه ونجا بها بعد أن غير خطة السير •• وكان ذلك بايعاز من اليهود الذين أسرعوا فبلغوا أبا سفيان نبأ عزم المسلمين على أخذ العير فى عودتها •

وظهرت هذه الروح الماكرة بعد هزيمة المسلمين للمشركين فى بدر •• فلم تتحمل أعصاب اليهود هذه الصدمة القوية •وراحوا يتجشأون حقدهم على الاسلام فقالوا للرسول :

لا يغرنك انتصارك على أناس لاعلم لهم بفن القتال •• وغدا تلقانا نحن الرجال لتعلم معنى القتال حقا •

ومتى يقولون ذلك • فى الوقت الذى يستحق فيه المسلمون تهنئة حارة من زملائهم أهل الكتاب •• حيث دحروا الوثنية التى لا تدين بكتاب •• وعززوا معنى التوحيد بهذا الانتصار الباهر على أعداء التوحيد كما بشر به موسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ••

« هم الذين يقولون : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والأرض ولكن المنافقين لا يفقهون » •

كان اليهود منطقيين مع أنفسهم وهم يعلنون اسلامهم نفاقا ••

ليحفظوا تحت ستار من هذا النفاق دماءهم أن تراق وأموالهم أن تنال .

فلم يكن عندهم بقية من شجاعة يواجهون بها دولة الاسلام صراحة .. وليس لديهم بين سطور التوراة كما أنزلت على موسى دليل واحد يشد أزرهم لو أرادوا ابطال دعوة محمد عليه الصلاة والسلام .

ومن ثم .. لجأوا الى النفاق « واذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا .. واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا : أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون » .

وها هى ذى الآية الكريمة التى معنا تكشف النقاب عن محاولة من محاولاتهم اليائسة لاطفاء نور الله :

لقد راعهم أن رأوا صفا واحدا ينتظم المهاجرين والأنصار.. كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا .. وفاجأتهم الحقيقة المذهلة وراء هذا اللقاء بين القوى التحررية التقدمية .

وجدوا أنفسهم أمام صورة فريدة للوحدة والاشتراكية لم يسمعوا بها فى آبائهم الأولين :

الرسول صلى الله عليه وسلم يؤاخى بينهم .. فيجمع قلوبهم من صدورهم قلبا قلبا .. ثم يصبها فى اناء واحد .. ثم يوزعها عليهم من جديد فاذا هم يعيشون جميعا بقلب واحد ..

ويتنافس الأنصار فى تكريم المهاجرين إلى حد أن يتنازل أنصارى عن نصف ماله •• بل عن احدى زوجتيه •• ويلحون فى الرجاء أن يتفضل المهاجرون ليشركوهم فى كل ما ملكت أيمانهم

وفكر المنافقون وقدروا •• ثم نظروا •• ثم عبسوا وبسروا •• وقرروا أن يضربوا الاحرار المؤمنين فى أعز ما يملكون : الوحدة والاشتراكية •

فاذا ما استطاع اليهود قص هذين الجناحين عجز النسر المتحفز أن يحلق فى الجواء العالية •

وقالوا لبعض الأنصار « لا تنفقوا على من عند رسول الله •• حتى ينفضوا » •

اقطعوا عنهم هذه « المعونات الاقتصادية » ليعودوا من حيث أتوا •• اردموا هذه المنابع حتى تجف النبتة الباسقة وتطير أوراقها مع رياح الخريف •

وخيل الى المنافقين من اليهود أن فكرتهم توشك أن تنجح فيخلو لهم الجو ويبيضون ويصفرون •

خيل اليهم أنهم لمسوا عند الأنصار عصبا حساسا وهم يغرونهم بالإحتفاظ بأموالهم حاسبين أنهم مثلهم يتخذون من الدينار إلها يعبد من دون الله •

لكن القرآن الكريم يسخر منهم ويلفت أنظارهم الى أن« لله

خزائن السموات والأرض » فهو وحـده الرازق المعطى •• ولو فرض وتخلى عنهم الأنصـار فان الله معهم يهيىء لهم أسباب الرزق :

ولن يموتوا بعد ذلك جوعا •

ورغم وضوح هذه الحقيقة الكبيرة لكل ذى بصر « ولكن المنافقين لا يفقهون » فيعلمون أن المسلم الحر لا يفرط فى عقيدته أبدا •• وأن له فى مبادئه متعة يحس بها فتغنيه عن كل متاع •• ولو علمها المنافقون المتآمرون لقاتلوه عليها بالسيوف •

انه النفاق اذن :

يوسوس اليهم بمنكر من القول وزور لعلهم ينالون من وحدة الصف المترابط متجاهلين هذا المعنى •• وهو نفسه العقدة التى تشكل مسلكهم هذا المعيب •• وتقف وراء كل مؤامرة لصد الناس عن سبيل الله بعد أن تعهدوا بأن يكونوا معه • لا عليه •

ولقد تحدر هذا النفاق فى أصلابهم •• وها هو ذا اليـوم يمارس نشاطه على المسرح الدولى •• وفى القرن العشرين •• فيعيد التاريخ نفسه :

أمريـكا تصـوت فى الأمم المتحـدة لصـالح اللاجئـين الفلسطينيين ••

وفى نفس الوقت تمد اسرائيل بالمال والسلاح لتدمير هؤلاء اللاجئين •

ويقف أعضاء « الكونجرس » اليهود مطالبين بقطع المعونات الاقتصادية عن العرب .. حتى ينفضوا .

« يضاهئون قول الذين كفروا من قبل » .

واذا وقفت اليمن فى وجه مطامع أمريكا هـددوا بقطع « المعونات الاقتصادية » .

وصدرت الأوامر لبعثة المعونة الأمريكية بالرحيل عن أرض اليمن .

واذا قامت الجمهورية العربية المتحـدة بواجبها الحتمى ازاء ثورات التحرير فى كل بلد عربى .

قال المنافقون فى أمريكا :

اقطعوا عنهم المعونات الاقتصادية .. كاخوة لهم من قبل .

نفس العقدة كما حددها الرئيس جمال عبد الناصر .. وهى تشكل مسلكهم المعيب ضدنا أيضا ..

ولا ينقمون منا الا ما نقمه أجدادهم : وحدتنا واشتراكيتنا المؤمنة بالله سبحانه وتعالى .

وهم يحاولون توجيه الضربة الاقتصادية حتى ينفض السامر .. وتنهار الأسس التى نبنى عليها حياتنا .

لكنهم لن يفلحوا فى كل ما يبيتون بليل .

ذلك بأنهم يواجهون صورا من الأخوة لم يشهدوا لها مثيلا فى مجتمعهم .. ولسنا من الذين يعيشون على بنـــود الاعانات والتبرعات .

ولن نفرط فى حبة رمل واحدة ازاء آلاف الدولارات .

وشتان بين وحدة واشتراكية تجمعنا .. وبين وحدة تجمـــع أمريكا واسرائيل مثلا :

اننا نتحد على أساس من الحب وهم يجتمعون على أساس من الكراهية .

وسوف نتصدى لكل مؤامرة .. لأن رصيدنا من هذا الحب يمدنا بأسباب البقاء .

وسوف يهزم « المنافقون » لأن الكراهية لا تمد أصحابها الا بأسباب الفناء .

لقد انفقت أمريكا وهى تحارب الخمر فى بلادها :

٦٠ مليونا من الجنيهات .

٣٠٠ انسان نفذت فيهم حكم الاعدام ..

نصف مليون مخمور سجنتهم .

ثم صادرت ما يقرب من ٤٠٠ مليون جنيه .

ومع هـــذا الثمن الذى دفعته .. فما زالت كئوس الخمـــر مترعة تعكس حمرة الخجل الامريكية .

فاذا كانت هذه قوة أمريكا أمام جيش من المخمورين • فما أضعف هذه القوة اليوم أمام كتائب من العقلاء الأحرار تستعد الآن على الحدود لصد أى عدوان •

« الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء » •

وكان لابد من تغيير جذرى فى علاقة المسلمين باليهود •• وجاء تغيير القبلة من بيت المقدس اجراء حاسما وضح الى حد بعيد مدى علاقة المسلمين بهم :

« وما جعلنا القبلة التى كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه • وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله • وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرءوف رحيم • « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها •• فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون » •

ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض • ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين

آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون (١) » .

وهذا هو فصل الخطاب كما نزل به وحى السماء .. يحدد العلاقة باليهود فى ضوء التطورات الجديدة فى المدينة :

لقد كان التوجه الى بيت المقدس فى الصلاة امتحانا يتبين منه ذلك الذى يتبع الرسول فيتوجه الى ما أمر به .. وهذا الذى يخالف عن هذا الأمر .. وتألفا لليهود .. فلعل فى هذه اللفتة الكريمة معنى كبيرا يلمس قلوبهم فتتفتح للاسلام وتضيف وجودها اليه .. وسقط اليهود فى الامتحان .

وما علينا بعد ذلك اذا قال « السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها »

الا أن نقول : ولله المشرق والمغرب . فأينما تولوا فثم وجه الله .

وحقيقة أخرى يجب أن يعلمها المسلمون :

ان أهل الكتاب — وعلى رأسهم اليهود — لا يعاودون المسلمين عن جهل أو سوء تقدير للموقف . ولكنهم يعرفون أنهم — المسلمين — على الحق كما يعرف الأب ابنه بكل ملامحه ومزاياه .. معرفة شاملة كاملة .

---

(١) سورة البقرة : ١٤٣ : ١٤٦ .

ومع ذلك فهم يكفرون ويتحالفون وهم أهل كتاب مع عباد الوثن •• « وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » •

واذن « فاستمسك بالذى أوحى اليك » « الحق من ربك فلا تكن من الممترين » •

واذا كان لكل مجمع مجتمع وجهة يستقبلها ويشد الرحال اليها •• فاستبقوا الخيرات فى صحبة وعى كامل بدور اليهود الخبيث ومحاولاتهم المكرورة لعرقلة مسيرتكم الكبرى •

وعلى ثقة كاملة بالله عز وجل •• الذى يبارك خطاكم وينصركم على أعدائكم •• اليوم •• وغدا •• يوم « يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شىء قدير » •

تشابهت قلوبهم :

علمنا فى حديث سابق كيف تحالف اليهود مع القوى الحاكمة ضد السيد المسيح عليه السلام • الذى جاءهم بالهدى ودين الحق ليكمل البناء •

واذا كنا نرى اليوم ونسمع عن هذا التحالف الباغى بين اليهود ودول الاستعمار ضد العروبة والاسلام عسكريا وسياسيا واقتصاديا •• فاننا نستطيع أن نعرف سر هذا التواطؤ بين اليهود والمشركين ضد المسلمين ليكونوا حجر عثرة فى طريق الهدى •

ومن هنا نرى القرآن الكريم — والحالة هذه — يحذر من اتباع أهوائهم التى انحرفت بهم عن جادة الصواب •• ويشدد

النكير على كل مسلم يتخذ منهم وليا أو نصيرا بعد أن وضح هذا التواطؤ بينهم وبين أعدائهم المشركين على نحو لم يكن يخطر على بال مسلم •• وبعد أن تكشفت غاية هذا التلاقي على الشر : « ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا »

ونقرأ بعض الآيات الكريمة وهى تتحدث عن هذا الاتجاه :

« ترى كثيرا منهم — من اليهود — يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفى العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون » (١) •

لكنهم لما اتخذوا من المشركين أولياء •• دل ذلك على أن الأهواء المضلة تجمعهم على الباطل •• فاحذروهم « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله اليك . فان تولوا فاعلم انما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون (٢) .

وافتح عينيك جيدا •• واستفت قلبك وان أفتاك الناس تحس فى قرارة نفسك احساسا يؤيده الواقع الماثل أية كراهية تلك التى جمعت بين اليهود أهل الكتاب وعباد الوثن و « لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن

(١) سورة المائدة : ٨٠ — ٨١ •
(٢) سورة المائدة : ٤٩ •

أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى .. ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لايستكبرون » (١) .

وسر فى طريقك واثق الخطو بعد ذلك آخذا فى حسابك تبعات هذا الموقف الحاسم من الشتم والأذى :

« لتبلون فى أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور » (٢) .

وقد سمع المسلمون فعلا منهم ما يكرهون عندما سأل أبو سفيان كعب بن الأشرف اليهودى قائلا :

هل نحن أهدى أم محمد .

فيقول كعب :

بل أنتم أهدى سبيلا .

وتنزل آى القرآن تسجل هذا التحالف الصارخ ضد الاسلام محذرة ومنذرة :

«ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

ولقد كان فى استطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم أن

---

(١) سورة المائدة : ٨٢ .
(٢) سورة آل عمران : ١٨٦

يهادنهم ويرخى لهم من حباله الى مدى ابعد .. لكنه رجل عرف الحق .. ورآهم .. وفى وضح النهار يطمسون معالمه ويغيرون ملامحه .. ومن عرف الحق عز عليه أن يراه مهضوما .

ولو تعلق الأمر بهم لهان بعض الشىء ما يصنعون .. بيد أن كثيرا من الأغرار يقعون فى شراكهم ويعطلون مسيرة الحياة الفاضلة كما أرادها الاسلام .

والايمان لا يقبل انصاف الحلول أبدا ..

واذا كان للشدة التى يمر بها المسلمون اليوم من نتائج فلتكن فى مقدمتها معرفتهم بمن هو العدو .. ومن هو الصديق .

جزى الله الشدائد كل خير
عرفت بها عدوى من حبيبى

وأيضا :

فاما أن تكون أخى بحق
فأعرف منك غثى من ثمينى
والا .. فاتركنى واتخذنى
عدوا أتقيك وتتقينى

واذا كانت المرحلة السابقة تعنى أن محمدا صلى الله عليه وسلم مصدق لمن سبقه من الأنبياء .. وأن القرآن يتم بمبادئه

ما جاء به المرسلون قبلا •• الا أنه فى الوقت نفسه « مهيمن » على هذه الكتب •

انه حارس يحميها من الزيغ والتحريف •• ويجعل من نفسه جارسا يقظا يقصى أهواء قوم من اليهود قد ضلوا وأضــلوا •• وكتموا الحق •• وأنكروا كل آية تزكى محمدا صلى الله عليــه وسلم وتؤيده فى دفاعه عن مبادىء ليست غريبة عن التــوراة ذاتها •• بل هى معترفة بها •• « وأنزلنا اليك الــكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه •• فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فى ما آتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بمــا كنتم فيه تختلفون » (١) •

فليكن القرآن حكما بينه وبينهم •• ولا يسمح بعد اليــوم بمهادنة هذا الشر المتربص واستغلال الكتب المنزلة لخلق معركة كلامية تضر الحق وتؤيد الباطل •

وليمارس الرسول سلطاته الواسعة المنبثقة عن وحى السماء • ولو جاء محمد عليه السلام ليعمل لحساب طائفة معينة أو جنس خاص •• لكان من الممكن أن ينتبذ مكانا قصيا •• ويترك الملك

---

(١) سورة المائدة : ٤٨ •

للمالك . لكنه جاء برسالة خاتمة جمعت ما تفرق فى كل كتاب أنزل من عند الله .. فلنجاهد من أجله كفاء ما يحتوى من مبادىء سامية :

« ان المقارنة لعابرة بين الرسالات الأولى والرسالة الخاتمة يظهر فيها الاسلام وقد تفرد فى طوله وعرضه وعمقه :

فطوله يستغرق الأزمنة ويساير الخلود .. ويتجدد على الأعصار .. فليس بعده وحى ولا حاجة الى شىء من ذلك .

وعرضه يستوعب الأجناس كلها فى القارات الخمس .. فهو يضمهم فى رحابه ويسعهم فى جنابه .. لا يختلف أسود عن أبيض أو أحمر ..

وعمقه يشمل الحقائق التى يفتقر اليها العالم فى شئونه جميعا .. ما فرط فى شىء منها ولا قصر فى فتوى أو قصر فى جواب .

لقد تضمن الاسلام من العقائد ما لا يرقى اليه شك .. ومن العبادات ما يحفظ على القلب سناءه .. ومن المعاملات ما يشبع نهمة العالم مع كل تطور .. ومن الأخلاق ما يدعم الفضيلة ويمحق الشرور .

وحملته فى انتصارهم وانكسارهم يخضعون للسنن العامة . وما بد من رعاية هذه السنن فى كل عراك بين الايمان والكفر .. وفى كل سباق الى امتلاك زمام الحياة .

وهو نفسه المعنى الذى تشير اليه الآية الكريمة « ليبلوكم فى ما آتاكم » .

وكم كان يسيراً على القدر الأعلى أن يستأصل شأفة اليهود فى لحظة ويريح المسلمين من شرورهم .

ولكن حكمة الله عز وجل أبت الا أن ينبت الحق .. ويسمق عوده بين مكر الباطل وفى عنفوان مؤامراته .. وأن يسير دعاة الحق والحرية فى الطريق اليهما على أشواك من غرائز البشر .. « ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد » .

واذا كان القرآن الكريم قد ذكر أنبياءهم بالتقدير .. باسم الوحدة فى الدين .. فانه اليوم .. وباسم هذه الوحدة أيضا يعلن الحرب عليهم . كاشفا عن طبائعهم الدنسة .. وكيف انهم امتداد لآبائهم وأجدادهم من قبل .. حيث انصرفوا بكل عقولهم الى التفنن فى الكيد والدس .. كما انصرفوا أيضا بكل قلوبهم عن محمد عليه السلام .

تجمدوا فى قوالب من نصوص أرادت لها أهواء أحبارهم أن تظل كذلك .. واذا ما تشدقوا يوما بانهم أحرار فانما هى حرية الريشة فى مهب الرياح .. أو حرية النملة فى غابة من الأفيال . ولو كانوا يتذوقون للحرية طعما لاستمعوا الى كل الآيات السابقة .. والتى أرسلها اليهم محمد عليه الصلاة والسلام كدفقات من الحياة تحملهم اليه حيث يقف على شاطىء الأمان .. ليسير الجميع فى ضوء هذين المبدأين :

كلمة التوحيد •• وتوحيد الكلمة •

غير أنهم استكبروا وظل احساسهم مرتبطا باحبار يعيشون وسط هالات غامضة لا يستبين فيها الانسان على حقيقته •

ومن خلال هذا الضباب القاتم حركهم الأحبار كما شاء لهم هواهم •• وأصبح اليهود بالنسبة للاسلام خطرا يجب أن توضع الاستعدادات لاستئصاله •• وتجهيز حملة توعية تكشف عن هذه الأدوار الخبيثة ضد دعاة الحق •• حتى لا يغتر بهؤلاء الدجالين أحد •

ومن المصادفات العجيبة أن تنشر الصحف أخيرا تصريحا لزعيم أوربى يتخذ من هذا « الغموض » الصهيونى وسيلة للسيطرة على مشاعر الجماهير وأكل أموال الناس بالباطل كما فعل أسياده من قبل •• يقول :

« ان غموض الزعيم السياسى يجعله — بالنسبة لأنصاره — بعيدا شامخا فوق متناول أيديهم •• وهذا وضع ضرورى لكى يحتفظ الزعيم السياسى بقدرته على اصدار الأوامر الى الآخرين •• وعلى الايماء لهم بطاعتها طاعة مطلقة •

وغموض الزعيم السياسى بالنسبة لخصومه يوقعهم — أى الخصوم — فى الحيرة والارتباك والبلبلة فهم لا يعرفون أبدا نواياه الحقيقية •• ولا يعرفون أبدا أين يمكن أن يتشدد وأين

يمكن أن يتساهل .. الامر الذى يزعزع صفوفهم ويضعف روحهم المعنوية . ويقلل قدرتهم على مقاومته » .

لكن هذا الغموض لن يدوم طويلاً .. لأن أضواء الإسلام الكاشفة أظهرت كل مخبوء ..

ولن يقع « الخصوم » فى الحيرة هذه المرة لأن الوحى السماوى معهم يشد من أزرهم ويغرس بين أيديهم علامات على الطريق تهدى خطاهم إلى النصر .

والرسول الكريم طراز فريد من الرجال .. والعقيدة التى يدعو الناس اليها واضحة لانها بسيطة .. وطريقه اليها واضح لكل ذى عينين لانه طريق الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

« قل هذه سبيلى : ادعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

ولهذا جاء القرآن « بلسان عربى مبين » واضح

وحتى موسى عليه السلام وهو رسول الله اليهم لم يبعث وسط هالة من الغموض ليفعل من ورائها ما يريد .. بل ارسله الله تعالى مع هارون بالهدى ودين الحق :

« وآتيناهما الكتاب المستبين » الواضح . الواضح

وهل طمع محمد عليه السلام أن يحدث ايمانهم فى يوم وليلة

كلا •• انه يطلب منهم الايمان بعد التفكير الهادىء المطمئن والرجوع الى التوراة وقد رضى بها حكما :

« قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين » ••ولاتكونوا كمصابيح الكهرباء : تضىء فجأة بمجرد ضغط الاصبع •• بل انظروا •• وافهموا ••وقارنوا • وسوف يكون الايمان حليفكم اذا ما سلكتم هذا السبيل •

أما المحاورة والمداورة مع وضوح السبيل فهما والكفر صنوان « فماذا بعد الحق الا الضلال » لكن اليهود لم يهضموا هذا المسلك الغريب على طبائعهم الملتوية • وكانوا أمناء على ماضيهم مع موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام :

انهم كذبة •• فهم يكرهون الصادقين ••

جبناء •• يمقتون الشجعان •

بخلاء •• فهم عدو لكل كريم •

انهم لا يعملون الا فى الظلام •• فهم حرب على كل محاولة لاخراجهم الى النور •

لقد مردوا على الكفر والعصيان •• فهم أعداء لكل من يدعوهم الى الايمان •

نفس مواقفهم مع السيد المسيح تتجدد مع الزمان ليواجهوا

بها محمدا صلى الله عليه وسلم •• الموقف هـو لم يتغير بغض النظر عن بعض التفصيلات .

افتراء على الله •• يبدأ بالدس والمؤامرة •• ثم العداء الصريح للحق وأهله ••

وقد اتحد أسلوب معالجة هذا النـوع قديماً وحـديثاً •• وعندما لا تفلح الوسائل السلمية فى معالجتهم يكون آخر الدواء الكى .

وآخر الدواء هنا •• بيان صريح وحاسم لنواياهم الحقيقية التى تسوقهم إلى غايات دنيئة •• يتوج أخيراً بحملة تطهير بعـد حملة التوعية •• وعندما يتكلم السيف •• فاسكت أيها القلم .

ولكن القلم لابد أن يسطر أولا طرفا من أخلاقهم كما هى وبلا رتوش •• قبل أن يقول السيف كلمته •• حتى تكون بمثابة حيثيات تبرر الحكم الصارم العادل .

فماذا يقول القرآن الكريم :

يقول : إنهم ضعفاء : « لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله » « لا يقاتلونكم جميعاً إلا فى قرى محصـنة أو من وراء جـدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى » .

« ولتجدنهم أحرص الناس على حيـاة » •• فليسوا عـلى

استعداد لخوض معركة عسكرية مباشرة يعرضون حياتهم فيها للخطر .

وهم منافقون :

« واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزئون » .

وهم مع ذلك أشرار :

« فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية » .

وماذا ننتظر من قساة القلوب غلاظ الأكباد الا كل شر مستطير ..

واجتماع هذه الخصال الثلاث فيهم يشير الى أنهم العدو الحقيقى لكل حق :

فاعداء الحق فى كل زمان ثلاث :

رجل شرير .. ورجل منافق .. ورجل ضعيف :

الرجل الشرير : يحارب الحق لأنه يخشى أن ينتصر فيضع حدا لخطاياه وملذاته .. بل ويحاسبه عليها حسابا عسيرا .

وصاحب الحق بلسان واحد وقلب واحد .. بينما المنافق بألف قلب وألف لسان .. فكيف يكون بينهما ثقة أو اطمئنان .

والرجل الضعيف لا تسعفه ثقته بنفسه الى التقدم ليحمل نصيبه من تبعات الحق ومغارمه ..

فهو يفضل أن يظل كما هو .. بعيدا عن هذه التبعات . وكل محاولة لتربيته حتى يقوم بدوره قاومها وعارضها .

ومن هنا نؤمن الى أى حد تمثلت فى الأمة اليهودية خصائص العداء الصريح لكل رسالات السماء .

انه الحسد اذن كما قال عز وجل :

« أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله .. فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وأتيناهم ملكا عظيما » .

وعداؤهم هذا الذى يغذيه حسد مقيم يفسر لنا بعض تصرفات زعمائهم :

فقد شن « ابن غوريون » حملة شعواء ضد الأمم المتحدة ومجلس الأمن . وعلى بريطانيا أيضا رغم أياديها البيضاء عليه . لماذا ..

لأن هذه المنظمات قالت كلمة الحق فأدانته وعصابته بالعدوان فهددوا بالويل والثبور أناسا جعلوا له من فلسطين وطنا « اتق شر من أحسنت اليه » .

« ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله انى يؤفكون » .

وقد تعجبت حتى كدت لا أتعجب . عندما استمعت اليهم وهم يدنسون اليوم أرض القدس ورحاب المسجد الأقصى •• ثم يدعون أن الشعائر الدينية ستجد اليوم وغدا متنفسها الحر فى ظل الحكم الإسرائيلى •• المتدين « حبرا » •

وهتفت مع الشاعر :

ودعى فى الدين والدين يشكو
فعلات كالكفر منه لعينه
نال ما يشتهى من الجاه باسم الـ
ـدين زورا فى الأمة المسكينه
هو فيهم كالذئب بين دجاج
أو شياه يختار منها السمينه
فقد الدين واليقين وصار الـ
ـمال والجاه دينه ويقينه
تخذ الافك والتملك دينا
فجميع الأديان تلعن دينه

« يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » (١) •

---

(١) سورة التوبة : ٣٤ •

أن آخر ما يفكر فيه اليهودى هو احترام شعائر الدين .. وإذا كان له من دين يخصه بولائه فليس هو التوراة .. لأنه لا يعمل بها .. ولا لها .

يقول الكاتب اليهودى « أدولف سافير » كشاهد من بنى اسرائيل على جنسه :

« لما جاءت الديانة الاسرائيلية من الله ماذا وجدت أمامها ؟

هل وجدت أناسا خاضعين لها مسرورين بها ؟ . كلا .

بل وجدت أمامها أمة عنيدة وشعبا صلب الرقبة معاندا .. وكانت الوثنية متأصلة فى قلوبهم كما هى متأصلة فى قلوب كافة أفراد الجنس البشرى يومئذ .

ولم يمض قليل بعد خروجهم من أرض مصر حتى رجعوا بقلوبهم الى الوثنية وعبدوا العجل الذهبى وبعد أجيال ارتد اسرائيل وعاد جميع الشعب الى عبادة العجل مرة أخرى وكانوا يقولون فى عبادتهم « هذه آلهتك يا اسرائيل التى أخرجتك من أرض مصر فكيف يمكن أن يقال بوجود وفاق بين اسرائيل وديانته الآتية من الله » .

وهذا شاهد آخر يحكى فى قصة له كيف أصبحت الأرض دينا يعبد من دون الله :

تقول « يائيل موشى ديان » فى قصتها « طوبى للخائفين » .

« عندما عاد الصبى من المعبد الذى ذهب اليه على حين غفلة من أبيه خاطبه أبوه قائلا : أيام زمان •• حين كنا يهودا فى روسيا وغيرها •• كان من الضرورى أى بالنسبة لنا أن نطيع التعليمات ونحافظ على ديننا •

أما الآن فقد أصبح لدينا شىء أهم •• الأرض ••

لقد تركت هناك ملابسى ومتاعى وأقاربى وعثرت هنا على رب جديد •• هذا الرب الجديد هو خصب الأرض وزهر البرتقال •• ألا تحس بذلك ••

وأخذ الأب حفنة من التراب وسكبها فى كف الصبى وقال له :

امسك هذا التراب •• اقبض عليه •• تحسسه •• تذوقه • هذا هو ربك الوحيد •

اذا أردت أن تصلى للسماء فلا تصل لها لكى تسكب الفضيلة فى أرواحنا •• ولكن قل لها أن تنزل المطر على أرضنا •• هذا هو المهم •• اياك أن تذهب مرة أخرى الى المعبد •

وعندما يستجيب الطفل لفطرته ويتسلل فى جنح الليل مع الناس الى المعبد •• يراه أبوه فيلوم رائده الذى ضلله ويقول له :

انك لم تتغير عما كنت عليه فى قريتنا الروسية منذ سنوات

بعيدة •• الهجرة لم تغير فيك أى شىء •• فأنت لا تهتم بالأرض وجلدك مازال أصفر اللــون لم يكتسب سمرة بعــد •• انك يهودى جدا » •

وكأن الأب الحانق يأخذ على زميله جريمة نــكراء أن بقى يهوديا تطوف بخياله يوما صورة المعبد •• ولم يتحول بعد الى صهيونى يعبد الأرض ويتحدى كل فضيلة تجود بها السماء الى أن تكون مطرا ينبت الزرع والزيتون والنخيل ••

وفى سبيل دينهم الجديد قتلوا أنبياء جاءوهم بالهدى :

« لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا • كلمــا جاءهم رسول بما لاتهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون »(١)

وشرورهم التى ارتكبوها كانت سلسلة متصلة الحلقات :

« واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدى القوم الفاسقين •

واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعــدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » (٢) •

---

(١) سورة المائدة : ٧٠
(٢) سورة الصف : ٥ـ٦

وبعد هذا .. فلم يبق الا حملة تطهير تقى المجتمع الجديد من شرورهم .. وتعيد الى الأعصاب المكدودة بعض الراحة والاطمئنان .. لا سيما والظروف مهيأة لهذا النوع من العقاب.. وأخطاؤهم . وجرائمهم المستمرة لاشك ستبرر أمام الرأى العام العالمى كل اجراء يضع حدا لهذا العدوان المستمر .

وحان وقت عقابهم على ما قدمت أيديهم .. وذلك عندما حاول اليهود فى بنى قينقاع أن ينفسوا عن حقدهم فاعتدوا على امرأة مسلمة كانت تشترى من السوق .. وجاء الحكم العادل باجلائهم والتخلص منهم .

وبنو النضير أيضا :

ذهب الرسول اليهم بشأن دية قتيل ليدفعوا نصيبهم فيها بناء على معاهدة سابقة .. فماذا فعلوا .

اتفقوا على سير التخلص منه صلى الله عليه وسلم بطريقة دنيئة تأباها طبائع الاحرار من الرجال :

لقد كلفوا واحدا منهم بالقاء حجر ثقيل على محمد عليه السلام وهو جالس فى بيوتهم فيقتله .

وألهمه الله عز وجل بما يدبر فى الخفاء .. فاسرع الى الانتقام منهم وحماية المسلمين من شرهم .

وكان موقف بنى قريظة ابان غزوة الاحزاب مؤسفا .. حيث

نقضوا عهدهم مع الرسول وخانوا الأمانة فى أشد اللحظات ••
وفى الوقت الذى يتربص فيه الأحزاب على مشارف الخندق •

ويسجل القرآن الكريم هذه المواقف فيقول :

« هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار » (١) •

« وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا •

وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطأوها وكان الله على كل شىء قديرا » (٢) •

وصحت الجزيرة العربية يوما لترى الحياة هانئة هادئة بعد أن جلا عنها اليهود •• وتخلص المسلمون من فتنة جائحة كادت أن تودى بهم •

لكن اليهود الذين تفرقوا فى الأرض بددا لم يفارقهم حلم الدولة الموعودة •

---

(١) سورة الحشر : ٢ •
(٢) سورة الاحزاب : ٢٦ ـ ٢٧ •

ومهما تفرقت بهم السبل واشتط المزار •• فقد كان يلح على خاطرهم دائما لقاء منتظر يلم شملهم فى أرض الميعاد •

وتنادوا من كل فج : يتذاكرون هذا الحلم ويتدارسون مدى تحقيقه •• وفى سبيله رصدوا الأموال واعملوا الفكر •

واتفقوا على أن هذه غاية تبرر كل وسيلة •• لأن المهم فقط أن تتحقق ولو على أشلاء الضحايا •• ولو كان على حساب ملايين من الناس يطردون من ديارهم وذكرياتهم بلا مأوى •

وزعموا أن حلمهم قد تحقق ..

ودارت الأيام دورتها ..

وذات يوم .. وفى عام ١٩٤٨ توجت الصهيونية العالمية جرائمها . فأذنت فى العالم بقرارها الآثم :

« نحن أعضاء المجلس الوطنى الممثلين للامة اليهودية وللحركة الصهيونية فى العالم .. استنادا الى الحق القومى والتاريخى للامة اليهودية . ولقرار الأمم المتحدة نعلن قيام دولة يهودية فى فلسطين باسم « اسرائيل » .

واننا لنوجه النداء الى الشعب اليهودى فى أنحاء العالم أجمع أن يلتف حولنا ويعاوننا فى مشروعات الهجرة والتعمير . وأن يقف بجانبنا فى نضالنا العظيم فى سبيل تحقيق حلم الأجيال ..

وصحا العرب من غفلتهم .. ورفعوا أبصارهم ليروا فى جو السماء .. سماء فلسطين العزيزة راية بيضاء .. تتوسطها نجمة زرقاء مسدسة الزوايا . تعلن قيام دولة فوق أرضهم اسمها « اسرائيل » .

وبدأت مرحلة جديدة من مراحل الكفاح الدامى بين العرب واسرائيل ومن وراءها •• هؤلاء الأدعياء الذين يخلفون قبلهم ركاما من الخطايا فى حق الله والانسان أثقل كاهل التاريخ •• ثم شاءت لهم صفاقتهم وزين لهم هواهم أن يضيفوا الى هذه الجرائم أقذر مؤامرة عرفها التاريخ الحديث فطردوا مليونا من العرب وحرموهم من أرضهم ومستراد آمالهم •• وأفسحوا الطريق أمام يهود العالم ليبنوا على أشلائنا مجدا زائفا • ويغرسوا فى أحشائنا راية مخضبة بدم الابرياء من بنى الانسان •

ثم انبرت ألف جريدة ومجلة فى الشرق والغرب تفرش الطريق بالورود الى الفردوس المفقود فى « أورشليم » •

ومن وراء كل وسائل الاعلام هذه وقفت الصهيونية العالمية تمدها فى غيها •• حتى تهيىء « المناخ » الملائم للوليد الجديد و « حقنه » بكل أسباب النماء والبقاء •

وتنادت الذئاب الضارية من كل فج عن «الوطن» و«القومية اليهودية » •

ولم يكن ميلاد اسرائيل حلم ليلة أو نتيجة ظروف محلية طارئة •

لكنه عمل خطير أخذ شكله النهائى بناء على خطة مدروسة بعيدة المدى ••

فقد اصطف لانجاز هذا العمل جيش من العقول الذكية

الماكرة .. وبذلت أقصى ما يمكن من جهد ومكر .. تغذيهاعداوة قديمة للاسلام والعروبة .. فكانت « الدولة » شيئا حتميا كما يعقب الليل النهار .

فالباطل صاح .. وأجناد الحق سكارى .. وما هم بسكارى ولكن شهوة الحكام غالبة .

الحكام الذين نذروا كل طاقاتهم وامكانيات شعوبهم لتحقيق مآربهم الشخصية وتأكيد ولائهم للاستعمار .. فدهمهم الباطل بليل .. وهم فى غيهم سادرون .

ولنتابع القصة من بدايتها .

فى عام ١٨٩٧ عقد المؤتمر الصهيونى العالمى وأعلن الصحفى النمسوى « تيودور هرتزان » ما سبق أن نادى به :

« ان الحل لجميع مشاكل اليهود المضطهدين فى هذا العالم هو قيام الدولة اليهودية على رقعة من الأرض متسعة تكفى أمة محترمة » .

وقرر المؤتمر أن تكون فلسطين هى الرقعة المتسعة للشعب اليهودى المحترم « وحتى هذا الوقت كانت محاولات الصهيونية مجرد أحلام وآمال . لأنها كانت تفتقر الى التأييد المادى والقانونى والدولى .. ففلسطين كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية وكان أهلها العرب يملكون كل شبر فيها » (١) .

---

(١) من محاضرة للسيد : كمال الدين رفعت .

ومن هنا نجد الغدر اليهودى يكشف عن ساق ويشمر عن ذراع وظهرت « الماسونية » منشئة ملك اسرائيل تؤدى واجبها ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قبله العذاب •

وكان ظهورها كسند قانونى ودولى يؤكد دولة اليهود كحقيقة واقعة •

وقد اغتر بعض العرب والمسلمين بهـذا المذهب أول الأمر ووقعوا فى شباكه •• ولما تكشفت نواياه وتبين لهم المكر السىء يحيط بهم خلعوا ثوب الرياء وعادوا الى عروبتهم سالمين •

وقد نبه بعض العقلاء الى خطر الصهيونية وطرقها الغـريبة فى الدعوة لنفسها وتحقيق جرائمها •• وكان غـريبا أن ينبرى بعض سدنة الصهيونية ليقولوا للناس : لا تصدقوا هذا الكلام •• فليس هناك شىء اسمه « الصهيونية » •• وانمـا هى فقط فكرة تفتق عنها الخيال النازى لكى يبرر الجرائم النازية ضـد اليهود •

وكجزء من خطتهم الملتوية هذه كانوا يسبحـون من اتجاه الموج دائما •

فهم ألمان • اذا كانت ألمانيا فى المقدمة •

ومع هذا فلديهم تخطيط اقتصادى شامل للسيطرة على كل بنوك العالم وثرواته ومصادر رزقه •• حتى يتسنى لهم القبض على أزمة الحكومات فتكون أحلامهم أقرب الى التحقيق •

وطالما أمسكوا بهذا الخيط السحرى •• الخيطِ الاقتصادى فتعلقت به حكومات وزعماء •• وفى الوقت المناسب •• وعندما يستنفد القدر مآربه ويحقق غـرضه قطعوا الخيط فهـوت الى القاع •

واليهود عندما يلجأون الى الخداع والدس •• انما يبذلون فطرتهم بلا تكلف والشيء من معدنه لا يستغرب •• ولا يمـكن لمثل هذه الطبائع المتعطشـة للدمار أن تجـد لها فى غير قلوب اليهود مقاما •

« وقد ثبت تاريخيا أن اليهود هم الذين دفعوا « وليم الفاتح» الى دخول انجلترا حتى يمكنهم أن يدخلوا فى ركابه •

وهم الذين دفعوا اسـكندر الأكبر الى أكثر فتـوحاته •• وحضروا فى ركابه الى مصر •

وهم الذين اغروا « فيليب الثانى » ملك أسبانيا عـلى ضم البرتغال الى بلاده •

كما وجهوا « جنكيز خان » الى أكثر مغامراته الاستعمارية بل نحن لا ننسى أن « دزرائيلى » هو الذى اشـترى لانجلترا أسهمها فى قناة السويس ليفسح لاقدامها مكانا فى بلادنا •

فتارة يوعزون الى الحاكم بسن قوانين للسخرة تمـكنهم من تشغيل العمال بربع أو نصف أجر •• وبدون أجر اطلاقا كمافعلوا

مع الجنرال « فان دون باش » وهو يمثل الاحتلال الهولندى فى جاوة .

وتارة يقنعون الحاكم بمنحهم بعض الامتيازات واطاق يدهم فى العمل مقابل حصة من الأرباح . كما فعلوا مع بعض ملوك انجلترا مثل « هنرى الرابع » .

وهم أول من ابتكر تسلل الاستعمار الى البلاد على هيئة شركات (١) .

ولماذا نذهب بعيدا ونحن نجد فى الواقع الماثل شواهد كثيرة على تأصل المكر والخداع فيهم .. وانفرادهم بهذا الداء دون شعوب الارض .

ان ٢٢ ألف يهودى فى ألمانيا غالبيتهم من النساء بين السبعين والتسعين يحاولون لأسباب تجارية السيطرة على ٥٥ مليون المانى

هذا واحد من اتهامات خطيرة يحتويها كتاب أصدرته الالمانية اليهودية « جورجيت جولد شتاين لاشكو » زوجة رجل الدين اليهودى « جولد شتاين » عن حياة زوجها فى برلين من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٦١ . وقد ألفت الكتاب بمساعدة زوجها الذى كان مطلعا على أسرار التنظيمات اليهودية فى المانيا بعد الحرب .

ولكن الكتاب لم يظهر فى السوق اذ سارع « جالنسكى » وكيل البعثة الاسرائيلية فى المانيا برفع قضية على المؤلفة وزوجها

---

(١) الصهيونية : أعلى مراحل الاستعمار لفتحى الرملى ص ٧٣ ـ ٧٤

وطالب بمصادرة الكتاب بحجة أنه يدعو لكراهية اليهود (١) .

وعلى أرض الجزائر .. وفى غمرة كفاحها كان اليهود يشكلون خطرا جسيما ضد ثورة الشعب .. سواء من كان منهم داخل الجزائر نفسها .. أو بتحريض من العناصر الصهيونية فى فرنسا التى كانت تغذى المنظمة السرية الفاشية .

وقد قرأنا أخيرا أنباء الهجرة المتوالية المغرب بعد فشل هذه المؤامرة السرية الفاشية فى تفتيت وحدة الشعب الواعى .

ومن تعاجيب الليالى أن اليهود الذين ساقوا الاسكندر فى الماضى الى مصر وجاءوا فى ركابه يعيدون الكرة أمس — ١٩٥٦ — فيسوقون انجلترا وفرنسا .. ثم يسيرون فى ركابهما أيضا كما سار أجداد لهم من قبل .

واليوم : تسوقهم أمريكا وبريطانيا كرأس حربة للإستعمار الحديث ، فى محاولة لضرب مكاسب الثورة العربية .. واذا كان للباطل جولة يستطيع خلالها أن يتكىء على بعض اعتبارات تمهد الطريق أمامه .. فانه لن يستطيع أن يواصل المسير أمام يقظة شعوبنا المؤمنة بالله عز وجل .. والتى تعقد العزم اليوم على تحرير الوطن العربى من براثن التواطؤ الصهيونى الاستعمارى .

فلا غرابة على شعب شأنه المكر والتمويه أن يدعى لنفسه

---

(١) الدكتور أحمد موسى — جريدة الجمهورية ٢٤-٣-١٩٦٢

وطنا فى فلسطين •• ثم تحاول هذه النزعة المجرمة أن تتحسس طريقها فى عالم المشاهدة •• ولنا فى التاريخ شاهد :

لم يقتصر اليهود بعد أن طردهم الرومان على الهجرة والاستيطان فى شتى البلاد •• بل ايهم حاولوا أن يؤسسوا دولا على حساب غيرهم من الشعوب •

ففى القرن الأول الميلادى أقاموا تحت حماية الفرس دولة يهودية بين أرمينية وفارس •

وفى العصر الاسلامى أسسوا دولة يهودية فى الحبشة • ودولة أخرى فى شمال البحر الأسود •

ومن هذه المحاولات تأسيس دولة لهم فى سبأ أرض اليمن فى بداية القرن ٦ م •

ولقد جاء تأسيسهم لهذه الدولة بعد مرحلة طويلة من المنافسات الدينية والعنصرية والإقتصادية • وقد باءت بالفشل جميع المحاولات لتأسيس دولة يهودية على مدى التاريخ (١) •

وقد حاولوا أيضا فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم •• بل كونوا فعلا مستعمرات لهم فى : فدك وتيماء وخيبر • لتكون شوكة تطعن العروبة والاسلام من الخلف •• ولتصبح نقطة ارتكاز يثبون منها الى تحطيم المصباح الجديد •• الى اطفاء نور

---

(١) الدكتور حسن الباشا « المجلة » عدد ٩ السنة الاولى

الله •• حتى يتسنى لهم بعد ذلك أن يعبثوا فى غيبة النور • تماما كما يفعل اللصوص فى محاولاتهم ترويع الآمنين •

والغريب حقاً أن يدعى اليهود على لسان مؤتمرهم الوطنى تكوين دولة بناء على : الحق التاريخى والحق القومى •

أى حق تاريخى يستند اليه اليهود فى اقامة دولة لهم فوق أرضنا •

الحق أنه لا تاريخ ولا قومية •

الا اذا كان الدس والوقيعة والدماء تاريخا فى ميزان عدالة معصوبة العينين فى القرن العشرين •

وأين هى الامكانيات الذاتية لخلق عمل كبير كهذا ترفضه كل الملابسات من حوله •

ان المتتبع لحركات الصهيونية فى العالم يدرك تمام الادراك أن الصهيونية لا تخلق حركة اجتماعية على اطلاقها • ولا قدرة لها على خلقها •

ولكنها لا تكاد ترى حركة تنبع الا سارعت الى استغلالها وتوجيهها الى مايخدم مصالحها مهما تكبدت من مال وعتاد (١) .

وأما اليهودية فهى « ديانة » رسالة جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام •• ثم مضى بعد أن بلغ الأمانة وأوذى فى سبيل ابلاغها •

---

(١) منبر الاسلام • ابرايل سنة ١٩٦٢

ثم أسلم الراية للأنبياء من بعـده .. حتى يقـودوا الركب الحائر خطوات الى أمام ••على نفس الطريق الى نفس الغاية •• « سعادة الانسان وترقية الحياة » •

وهى بهذا المعنى الانسانى الرفيع لا تبرر الاغتصاب ولاتعرف القتل •

واذا صح فى الاذهان أننى كمسلم أمتلك حول الكعبة شبرا لاننى أتوجه اليها كل يوم خمس مرات •• ولى فيها ذكريات عزاز عـلى •• اذا صح فى الأذهان هـذا يكون صـحيحا ما تدعيه الصهيونية اليوم من أنها صاحبة حق تاريخى وقومى يؤيدها فى دعوى بناء دولة فى فلسطين •

ومنطق الحوادث عبر الزمان المتطاول يهتف بأن اليهـودية « دين » عقيدة وشريعة •• وهى بهذا المعنى أيضا لا ترتبط أبدا بعامل جغرافى •• كما سطر ذلك « الفريد ليلينتال » فى كتـابه « ثمن اسرائيل » قال :

« لأن ذلك الصوت القديم الذى تردد فى الاجيال والقائل : فى العام المقبل سنكون فى « أورشليم » لم يدع لاقامـة دولة على أشلاء الانسانية وانما دعا لتوطيد أركان الديانة اليهودية • ان الصهيونية كدين كانت وما زالت غير مقيدة باعتبارات جغرافية بحتة • ولهذا استطاعت أن تكافح من أجل بقائها •

فالدولة كيان زائل .. أما المعتقدات البعيدة عن التقلبات الزمنية فباقية إلى الأبد » .

وإذا كان كلامنا نحن العرب والمسلمين غير مقبول من وجهة النظر اليهودية فليسمعوا مع هذا شهادات أخرى من كتاب لا يشك اليهود لحظة فى ولائهم .

يقول الأب لويس برسوم الفرنسكانى :

« على أن نبوءات الكتاب تلك وان تكلمت حقا عن سيادة اسرائيل فتقصد لا اسرائيل الجسدى بل اسرائيل الروحى — أى الكنيسة — وعن سيادة روحية معنوية لا مادية » .

ولسنا نحن الذين أعددنا العدة لاقامة مؤتمر الكنائس العالمى فى نيودلهى .. لكنه اجتمع باختياره ليقول كلمة الحق فيقرر ما يأتى :

« نستنكر قيام دولة اسرائيل الصهيونية . وأن أية دراسة لاهوتية يذكر فيها اسم اسرائيل القديم فى معناه الدينى القديم يجب ألا يحمل أى معنى يفيد وجود اسرائيل كدولة لها كيان سياسى » .

ولنعد بالذاكرة الى الماضى البعيد نستلهمه الحق فى هذه القضية .. وتتابع جذور المشكلة مع السيد كمال الدين رفعت فى احدى محاضراته :

« عرفت فلسطين فى التاريخ القديم بأرض كنعان » نسبة الى قبائل الكنعانيين التى هاجرت اليها من جزيرة العرب عام ٢٥٠٠ ق٠م ٠

ورحل جزء منهم الى الساحل أمام جبال لبنان عرفوا بالفينيقيين ٠٠ فالفينيقيون والكنعانيون شعب واحد ٠

وظلت فلسطين تسمى بأرض كنعان حتى عام ١٢٠٠ ق٠م حينما غزتها بعض القبائل الكريتية واستقرت على الشاطىء بين غزة ويافا ٠ فسميت المنطقة باسم «فلسطين» نسبة الى القبيلة الكريتية الغازية ٠ وقد اندمج الفلسطينيون مع الكنعانيين وتزاوجوا ٠

وأصبح الأخيرون هم العنصر الغالب ٠

وبمرور الزمن أصبح سكان البلاد من الكنعانيين العرب ٠

وبالرغم من تعرض هذه المنطقة للغزوات سواء من الشرق أم من الغرب أو الجنوب أو الشمال ٠٠ فقد احتفظت بصفتها الكنعانية العربية ٠

وقد كان الغزاة فى معظم الحالات عابرين ٠٠ ومن أقام منهم لم يلبث أن اندمج مع السكان وذاب فيهم ٠

وتتحدث التوراة عن رحلات ابراهيم ولوط من « أور » الى « حاران » ومنها الى مصر ٠٠ ومن مصر الى الشام ٠٠ فتذكر بعض المعارك التى شهدتها البلاد بصورة نلمس معها الطابع العربى

بارزا .. ذلك الطابع الذى يفصح عنه أسماء البلاد وأسماء الملوك أيضا .. فتقول فى معرض الحديث عن معركة قامت بين البدو والحضر .

« فخرج ملك سدوم وملك عموره وملك أدمةوملك صبويم وملك بالع التى هى « صوغر » ونظموا حربا معهم فى عمق « السديم » (١) مع « كدر لعومر » ملك عيلام و « تدعاك »ملك جوييم و « أمرافل » ملك شنعار و « أربوك » ملك الاسار »(٢)

واذا دلت هذه الأسماء على شىء فانما « تدل على أن مدن « أدمة » وحبوئيم ـ صبوييم » وسدوم وعمورة وبالع كانت كراسى لخمس ممالك كانت موجودة قبل طروء ابراهيم .وكانت فى وادى الأردن كما تفيده عبارة السفر .

واللمحة العربية بادية على الأسماء حيث يسوغ القول أنها وملوكها من الجنس العربى . وقد يكونون من الكنعانيين » (٣)

ومن هنا يتبين أنه لا صحة اطلاقا لما تدعيه اسرائيل .. ولا حق لها فى فلسطين .

وكيف تسمح لهم نفوسهم أن تدعى ميرات هذه الأرض العربية من عهد ابراهيم عليه الصلاة والسلام . مع انهم ظلوا الى عهد موسى عليه السلام يشترون المورد والمرعى فيها بالفضة ولم

---

(١) بحر الملح .
(٢) تكوين ص ١٤
(٣) تاريخ بنى اسرائيل لمحمد عزة دروزة

يستطيعوا أن يدخلوا فلسطين الا بعد ضعف العموريين والحيثيين والهكسوس •

واذا كان هناك بعض معارك خاضـها اليهود بقيادة موسى و « يشوع » من بعده •• وانتصروا فيها أيضا •• لكن ذلك لا يؤيد أنهم فدائيون قادرون على البقاء والحفاظ على النصر •

فمن وراء هذه الانتصارات المتواكبة سيل من المعجزات القاهرة أيدهم الله عز وجل بها على يد أنبيائه عليهم الصلاة والسلام •

ولم تزدهم هذه المعجزات الا مكرا وجبنا فضلا عن أن تأخذ بيدهم ليكونوا أمة لها دولة وسلطان •

ومهما يكن من شيء فقد أقامت اسرائيل دولة فى فلسطين •

وأصبحت عضوا بارزا فى جمعية الأمم المتحدة •• بل أصبحت العضو المدلل •• حتى ساعة ولادتها •• ولدى الولايات المتحدة أيضا التى جعلت من جريدة « النيويورك تايمز » منبرا لأحد زعماء اليهود عام ١٩٤٨ هدد من فوقه بتجهيز حملةعسكرية يهودية تحتل المدينة المنورة •• وتهدم مقدساتها •

ومن المضحكات المبكيات ما أذاعته وكالات الأنباء أخيرا•• من أن أعضاء وفود الدول توجهوا الى المقر الدائم للامم المتحدة لأخذ الرأى على مشروع ما •

وفوجىء أعضاء الوفود برجال المنظمة اليهودية العالمية تحتل

مقاعدهم داخل القاعة الكبيرة وتتخـذ من منبر السلام مـكانا لتقويض هذا السلام • الأمر الذى بادر من أجـله السـكرتير العام للامم المتحدة وأعلن أسفه البالغ •• فلم يكن عنده علم بهذا الاجتماع •

ولا يمكن أن يجرؤ أعضاء المنظمة اليهودية على مثل هـذا التصرف الماكر الا اذا كان من ورائه دافع قوى واثق واحسـاس عميق بمساندة القوى الاستعمارية لليهود •• وتبرير كل عمـل تقوم به متحدية بذلك العرف الدولى •

وهى نفس القوى العدوانية التى تلاقت وتعاونت على الشر . فجاءت اسرائيل •

وهكذا تضحى أمريكا وبريطانيا بعواطف خمسين مليونا من العرب •• وملايين الأطنان من البترول نظير ارضاء ملايين معدودة من اليهود •

وتتم المؤامرة الخبيثة علنا •• وفى غيبة الضمير العالمى الذى يستتر حينئذ وجوبا كبعض الضمائر فى علم « النحو » •

واذن •• فنحن فى حاجة إلى مزيد من الحذر واليقظة •• ومزيد من الايمان بالله عز وجل لأننا نواجه خصما عنيدا يتخذ من الدولار الها يعبد من دون الله •• ولو تأملنا بعض مبـادئهم فى تلمودهم لتكشفت لنا طبيعة عصية عـلى العلاج تبرر كل وسيلة للوصول الى غاياتها •

« ان النطفة المخلوق منها باقى الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هى نطفة حصان » .

« اليهود أحب الى الله من الملائكة •• وهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه •• فمن يصفع اليهود كمن يصفع الله » •

« سلط الله اليهود على أموال باقى الأمم ودمائهم » •

« اقتل الصالح من غير الاسرائيليين •• ومحرم على اليهودى أن ينجى أحدا من باقى الأمم من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها • لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين » •

« من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل كافر •• لأن من يسفك دم الكافر يقرب قربانا الى الله » .

« ان الله لا يغفر ذنبا ليهودى يرد للأممى — غير اليهودى — ماله المفقود • وغير جائز « الاشياء المفقودة من الاجانب » •

وهذه النزعة الفردية المجرمة تدفعهم الى العمل الدائب فى كل مجال للسيطرة على العالم •• ومحاولة عزل كل من يعترض طريقهم •

ففى افريقيا يبذلون كل جهد مستطاع لصوغ جيل يرتبط باسرائيل نفسيا وعقليا وهذا واحد من الشباب الافريقى المفتون يقول :

« اننى فضلت بعثة اسرائيل على أية بعثة فى بلد آخر •• لأن

بعثات اسرائيل قصيرة •• لا تزيد على أربعة شهور وسهلة وسياحية •• وأعود منها مبكرا لأشغل وظيفة كبيرة قبل أن تمتلىء الوظائف •

ما معنى أن أدرس أربع سنوات ثم أعود وقد احتل الجميع كل الوظائف •

وقد أشار المرحوم الأستاذ عباس العقاد الى الأصابع الصهيونية وهى تعبث فى الظلام •• وتجرى وراء كل مذهب هدام ودعوة اباحية •• قال :

« ان اصبعا من أصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية •• وترمى الى هدم القواعد التى يقوم عليها مجتمع الانسان فى جميع الازمان •

فاليهودى « كارل ماركس » وراء الشيوعية التى تهدم الأخلاق والأديان •

واليهودى « دوركيم » وراء علم الاجتماع الذى يلحق نظام الاسرة بالاوضاع المصطنعة • ويحاول أن يبطل آثارها فى تطور الفضائل والآداب •

واليهودى « جان بول سارتر » وراء الوجودية التى نشأت

مهدرة لكرامة الفرد .. مجنحا بها الى حيــوانية تصيب الفــرد والجماعات بآفات القنوط والانحلال .

ومن الخير أن تدرس المذاهب الفكرية . بل الأزياء الفكرية كلما شاع منها فى أوروبا مذهب جديد .

ولكن من الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها دون ماوراءها من عوامل المصادفة والتدبير المقصود .

وبعـــد

فرغم تواطؤ الاستعمار مع الصهيونية لضرب العروبة والاسلام ورغم ما تبيناه آنفا من اصرار اليهود على الوصول الى غاياتهم ولو على أشلاء الضحايا .. مدفوعين بأخس ما عرفته الحياة من رذائل .. وينبغي ألا يفت ذلك في عضدنا .. ولنذكر دائما أننا على الحق وهم على الباطل .. ولنعش مع القرآن الكريم وهو يصور مدى قوتهم أمامنـا .. ليشتد عـزمنا .. ونزداد ايمانا بضعفهم وقوتنا .

« لن يضروكم الا أذى وان يقـاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون .

ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبـل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة .

ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (١) .

فقدرة اليهود محـدودة .. تنتهي عنـد السباب والوعيـد الكاذب ..

---

(١) سورة آل عمران : ١١١-١١٢

وحملة التشهير المحمومة التى يقودونها ضدنا لن تضركم أيها المؤمنون الأحرار الا أذى باللسان •• لا ضربا بالسنان •

ولو أنهم جمعوا أطراف نفوسهم المهلهلة يوما • وحملوا فى وجوهكم السلاح •• تخونهم هذه الشجاعة المجلوبة فى ساعة العسرة •• ويولوكم الأدبار هاربين •• ثم لا ينصرون •

وكيف يستطيع اليهودى الجبان أن يهزمك أيها المؤمن الحر •• مع أنه يلاقيك وأنت تعتقد أنك ستغلبه •• وهو أيضا معتقد أنك ستغلبه •

فنفسه •• وأنت •• عليه •

وكيف لا •• وهم يستمدون قوة مفتعلة من خارج نفوسهم• بينما نستمدها نحن من ايماننا بالله •

هم يكفرون بالله وملائكته وكتبه •• ويقتلون رسله •

ونحن نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله •

ولعل بعض الناس يفهمون اليوم ونحن نغالب نكسة عارضة •• أن هناك تناقضا بين ما تقرره الآيات •• وبين ما يقرره الواقع الصارم ••

واذا كان الأمر كذلك • فلنبحث عن سر هذا التناقض داخل نفوسنا نحن •

ولنجدد ايماننا أولا بالله وآياته .. وقبل أن نسأل أنفسنا هذا السؤال :

ما مدى ايماننا بالله تعالى ؟ .

ما هو نصيبنا من الثقة به سبحانه فى اللحظة التى يتحدانا فيها عدوه ؟ .

وهل استصحبنا فى عراكنا معه تجارب الماضى وخبراته .. وتأملنا مراحل التاريخ لنستشف العبرة وتتجنب تكرار الخطأ .. ونستذكر الدروس والعبر ؟ .

فاذا حصلنا على جواب شاف .. كان من السهل علينا أن نقرر جازمين :

أنه لا تناقض اطلاقا بين الآيات والواقع .. ولكن التناقض حقا بيننا نحن وبين ما تقرره الآيات الكريمة .. فكان هذا الواقع الأليم .

وتفهمنا لهذا المعنى يفيدنا كثيرا ويعيننا على التخلص من آثار ما حدث .

وهذا ما أشار اليه السيد الرئيس جمال عبد الناصر حين بين أن ما حدث كان درسا من الله عز وجل يذكرنا بما نسيناه .

وربما كان فى النكسة ما يعيدنا الى طريقه القويم .. لنبدأ السير مرة أخرى أصحاء راشدين .

ومن ناحية أخرى يجب أن نسأل أنفسنا : هل كنا حقا نحارب اليهود وحدهم ؟ .

أبدا ..

اننا كنا أمام طائرات فرنسية .. ودبابات ألمانية .. ومدافع أمريكية . وبنادق انجليزية وجنود مرتزقة من كل فج عميق .. ومن وراء ذلك كله تقف الجمعية العامة للامم المتحدة بلاحراك تحت ضغط أمريكى يهودى . وهذا ما أشار اليه السيد الرئيس أيضا فى خطابه الى مؤتمر الطلبة العرب فى أمريكا وكندا :

« لم تعد القضية مجرد صراع بيننا وبين اسرائيل تكون فيه المواجهة هى الحكم والحسم . وانما القضية هى طاقة اسرائيل فى تجنيد الاستعمار والقوى الامبريالية من ورائها ولخدمتها . لقد كنا نقول ان اسرائيل رأس جسر للاستعمار . فاذا باسرائيل تصبح هى قيادة الاستعمار ومستغلة قواه » .

بقى علينا أن نعود الى الله نستمد منه العون..وعندما يكون معنا سبحانه بحوله وقوته سوف نعرى اسرائيل من كل ماتتستر وراءه من قوى مادية ومعنوية .. وستقف أمامنا بخصائصها الذليلة فقط .. كما صورها القرآن وحينئذ سننتصر . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فهرست